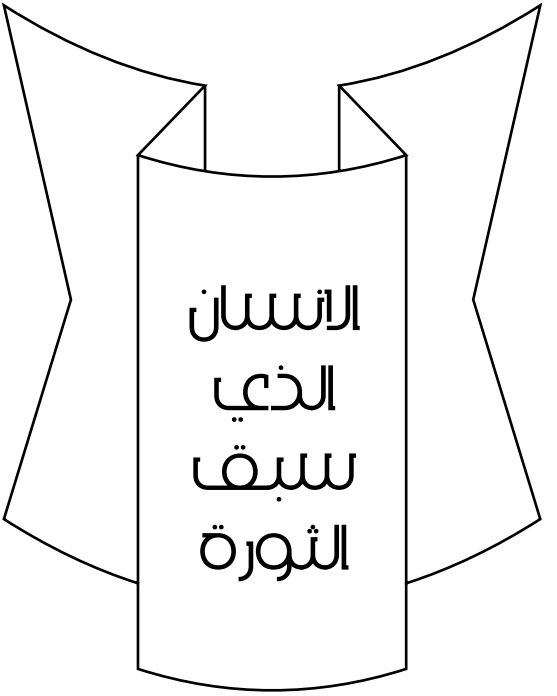
الانسان
الذي
سبق
الثورة

سعاد الراعي

الانسان
الذي سبق الثورة

ـــ الجوانب الإنسانية في سيرة سلام عادل

Title:
The man who preceded the revolution

العنوان:
الانسان الذي سبق الثورة

Author:
Suad Alraee

تأليف:
سعاد الراعي

All Right reserved

جميع الحقوق محفوظة

Cover Art:
Artist Firas Albasry

لوحة الغلاف:
الفنان فراس البصري

Cover design:
Tarik AL- Hilfi

تصميم الغلاف:
طارق الحلفي

First Edition 2025

الطبعة الأولى 2025

Aris/ Germany

دار آريس/ المانيا

This book was printed in Backnang Press / Germany

تمت طباعة هذا الكتاب في مطبعة باكنانغ / المانيا

ISBN:

رقم الإيداع/ الترقيم الدولي:

"978-3-9825711-9-5"

"978-3-9825711-9-5"

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means.
without the prior written permission of the author.

الإهداء

إلى روح والديَّ الحبيبين، اللذين أورثانا حكايات ابن العمّة مكيّة "سلام عادل"، لا كأخبارٍ من الماضي، بل كأناشيد مجدٍ خالدة، نسجاها بخيوط البساطة والحنان، حتى صارت جزءً من لحم ذاكرتنا ودم أحلامنا، وكأنها وهج لا يخبو مهما تراكمت السنون.
وإلى روح السيدة الجليلة ثمينة ناجي يوسف، رفيقة درب الشهيد سلام عادل، تلك التي أفنت زهرة عمرها في وفاءٍ نادر، وبذلت ما يقارب عقدين لتسطّر بمداد الصبر والإيمان كتابها "سلام عادل: سيرة مناضل"، ذاك السفر الذي إتَّحذْتُهُ منارةً ومرجعًا في إنجاز هذا العمل.

سعاد الراعي
درسدن/ المانيا
2025.09.09

تشكر

أجد لزامًا عليّ أن أرفع أسمى آيات الامتنان والعرفان إلى رفيق دربي الشاعر القدير طارق الحلفي، الذي أفاض من وقته وجهده في متابعة هذا العمل ومراجعته وتدقيقه بصدق وإخلاص.

كما أخص بالشكر والعرفان الأستاذ الفنان المبدع فراس البصري، الذي أكرمني بالسماح لأن يزدان غلاف هذا الكتاب بعمله الفني البديع، ذاك العمل الذي كرّسه بروحٍ وفيّة لسلام عادل.

ويمتد شكري إلى الدكتور محمد شطب، والأستاذ حسام العبادي، اللذان تفضلا بقراءة العمل قبل نشره، وأبديا ملاحظات جادة أسهمت في وأغنياه.

ولا يفوتني أن اتوجه بالشكر والتقدير للأستاذ الصحفي والكاتب القدير عصام الياسري، الذي كان قد أثار فكرة هذا المشروع.

الجزء الأول

النهر الذي لا يجف

مقدمة الجزء الاول

حين خطّ قلمي صفحات من ذكرياتٍ وشهادات* تناقلها والديَّ عن ابن عمتهما، البطل الأسطورة **سلام عادل** لم أكن أدرك أنني أفتح بابًا يُفضي إلى عالم منسي من الضوء والوجدان، عالمٍ خفيٍّ تجسّدت فيه البطولة في هيئة إنسان، لا شعار. كانت تلك الشهادات التي تشرّبتْها ذاكرتنا العائلية عبر الحكايات، كنوزًا من المعاني والملامح الإنسانية التي قلّما تناولها التأريخ في سيرته، والتي حين نُشرت، وجدت في القلوب صدى طيبًا، أشعل في نفسي توقًا لا ينطفئ للغوص أعمق في هذا الجانب المنسي من حياة رجل لم يكن بطلاً في ساحة النضال فحسب، بل كان كذلك إنسانًا استثنائيًا في نقائه، في خلقه، وفي حضوره النبيل.

*** عنوان المقال الذي نشر في بعض الصحف الالكترونية "ابن العمة سلام عادل: الأسطورة المتخفية التي مشت على حافة المستحيل". توجد في الملحق1**

أتذكّر كيف كان والدايَ، وهم يسردون لنا ذكرياتهم عنه، يعتصرهم الحنين ويتوهّج في صوتهم الفخر والاعتزاز.

من تلك اللحظة، بدأ في داخلي شعور لم يخفت، أن هذه القامة لم تكن مجرد مناضل صلب، بل روحًا مجبولة على التضحية والسمو. إن جذوة النضال في مسيرة حياته لم تكن رداء خارجي يتزيّن به في المناسبات، بل كانت متأصلة في جوهر كينونته، متدفقة من ينابيع فطرته الأولى كالماء في عروق الأرض، لا تنفصل عنه كما لا ينفصل الظل عن صاحبه.

بعد أن لاقت كتاباتي السابقة عنه استحسانًا، دفعني ذلك، إلى التوغل في مسارات سيرته، لا من بوابة السياسة وحدها كما وثقها الاخرون، بل من باب القلب، حيث تتجلّى انسانيته في أسمى صورها.

اعتمدتُ في هذه الرحلة على أهم المصادر*، وهو ما وثقته زوجته ورفيقة دربه، ثمينة ناجي يوسف، ذلك المرجع الموثوق والدقيق والمستند الى مراجع وشهادات ووثائق تأريخية لا لبس فيها، أغنت الرؤية وساعدتني في إعادة تشكيل الصورة، لا كسيرة لبطل سياسي كما كتب عنه الكثير فحسب، بل كإنسان عاشق للحق، نقيّ اليد، طيّب السريرَة.

*** كتاب "سلام عادل - سيرة مناضل" من جزئين /تأليف ثمينة ناجي يوسف، نزار خالد الطبعة الأولى 2001- دار المدى للثقافة والنشر. جميع النصوص الواردة في هذا الكتاب مأخوذة من الجزئين الأول والثاني بصيغة الـ بي دي اف.**

ما أرجوه من هذا العمل ليس توثيقًا جامدًا، بل فعل وفاء، وفاء لروح سلام عادل الانسان الذي ظلّ، حتى لحظاته الأخيرة، حاملًا راية الكرامة، شامخًا في وجه الظلم. ووفاء لروح والديَّ، اللذان حملا إلينا حكايته، لا كحدثٍ عابر، بل كإرثٍ من المجد، نسجاه بخيوط البساطة والمحبة، فصار جزءًا من كياننا، من ذاكرتنا، ومن الحلم الذي لم يبهت رغم تقادم السنين. هذه محاولة متواضعة، صادرة من قلبٍ ممتن، ومن ضميرٍ لا يزال مؤمنًا بأن أعظم النضالات تبدأ من حيث يكون الإنسان إنسانًا.

الفصل الأول

سلام عادل.. الإنسان الذي سبق الثورة

ليس ما بين دفّتي كتاب **"سلام عادل ـ سيرة مناضل"** سيرة لرجلٍ عاديٍّ مرّ في تاريخ العراق، ولا هو تسلسل لأحداث حياة قائد سياسيّ فحسب، بل هو سفرٌ حيٌّ لأسطورة من لحم ودم، كُتبت تفاصيلها بمداد الألم، وشُكّلت ملامحها بنحت التجربة القاسية، وارتوت من معين الفكرة المتقدة بالإيمان، وانصهرت في أتون معاناة لا يخففها إلا الحلم بغدٍ حر.

حين يبدأ القارئ رحلته بين دفتي الكتاب، كما فعلت، يكتشف كم هو ضئيل ما يعرفه عن **سلام عادل**، ذاك الاسم الذي ارتبط في ذاكرة العراق بدم الشهداء وصلابة الموقف. لا يُعرف عنه سوى ما تسرب من وجع: سكرتير اللجنة المركزية للحزب

الشيوعي العراقي منذ حزيران 1955، وواحد من شهداء الانقلاب الأسود في 8 شباط 1963، حيث اعتُقل في 19 شباط، واستُشهد في السادس من آذار في دهاليز "قصر النهاية"، بعد تعذيب وحشي يفوق التصور، ارتكبته أيادٍ غارقة في فاشيتها.

الكتاب لا يسرد فصول حياة سلام عادل فحسب، بل يؤرّخ لمرحلة كاملة من تاريخ الحركة الوطنية العراقية، من خلال تتبع خطى هذا الرجل الذي لم يكن مجرد قائد، بل كان روح حزب، وقلب وطن نابض بالمقاومة.

سلام عادل – أو حسين أحمد الموسوي الذي وُلد في النجف عام 1922 – لم يكن مجرّد رجل حزبي شغل منصب سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، بل هو روح ملتصقة بجذور الأرض، وجسد وُلد من رحم الفقر، من بيتٍ ضيّق يضجّ بالأطفال، لكنه متّسِع بالكرامة، ومن دكانٍ متهالك ومطحنةٍ يملؤها غبار الطحين، حيث خُبزت الطفولة بالتعب، وعُجنت القيم بعرق الشقاء.

يبدأ الكتاب كلوحة حية تنبض بالتفاصيل.. هنا لا نقرأ، بل نرى ونلمس ونشمُّ زمنًا كان سلام عادل أحد صانعيه. نغوص في ملامح الإنسان، قبل أن نشهد انبثاق القائد، نكتشف منذ الصفحات الأولى كيف كان الصمت رفيق طفولته، لا صمتَ البلادة، بل صمتَ التحديق العميق في أحوال الناس، في وجوههم المُغبرة، وأكفّهم المشققة. من بين إخوةٍ لم يتسنَّ لهم جميعاً متابعة الدراسة، كان هو الوحيد الذي أكمل تعليمه

المتوسط، والتحق بدار المعلمين في بغداد، وتخرّج عام 1943، حاملاً شهادة وأفقًا واسعًا فتح له بوّابة الوعي، هناك حيث التقى بشعلة الحزب الشيوعي لأوّل مرّة.

في عام 1944، عُيّن معلّمًا في مدينة الديوانية، وهناك بدأت رحلته الفعلية. لم يكن المعلّم الشاب مجرّد موظف يتلو دروسه، بل كان بوصلة فكرية وروحية، يجمع بين الخط الجميل والريشة الحساسة، بين المسرح والكلمة، وبين الجَمال كقيمة نضالية والفنّ كأداة وعي.

كان يؤمن أن التعليم ليس مهنة، بل رسالة تحررية. وحين طلب من تلميذاته رسم مشهد "العيد". انقسمت الرسومات بين أطفال الفقراء اللواتي رسمْنَ ملابس بسيطة وألعابًا من ورق، وبين بنات الأغنياء برسومات تفيض بالحلويات وبالدمى والملابس المزركشة. لم يعلّق بكلمة، بل اكتفى بعرض اللوحات جميعًا في معرض المدرسة، مُطلقًا أولى صرخاته الطبقية من دون صوت.

في ركن آخر من حياته، برز المسرح كأداة مقاومة؛ كان يخرج العروض المدرسية، يعدّ النصوص، ويضع الماكياج، ويوزّع الأدوار كمن يُخرّج أمّة بأكملها من الظلمة. لم يكن المسرح عنده زينة مدرسية، بل أداة لبناء وعي جماهيري، وكان لا يتردّد في إشراك الفتيات والبنين على حدّ سواء، متحديًا أعرافًا اجتماعية متزمتة، لكنه كان يربّي من خلال الفعل لا الخطاب.

وهذا ما تحكيه رفيقته وزوجته "ثمينة ناجي يوسف"، حين تصف دخوله لأول مرة إلى صف البنات لتعليم مادة الرسم. لم يكن بحاجة إلى كلمات ليترك أثرًا، فكان حضوره وحده كافيًا لبثّ الاحترام، بحزمه العطوف، ووقاره المتواضع.

وعبر حادثة طريفة من طفولته – حين شُجَّ رأسه في إحدى الالعاب – نكتشف نواة أخلاقية متجذّرة ـ أبى أن يُفشي اسم الطفل المعتدي، رغم الضغوط، مبرهنًا على شخصية لا تُفرّط بالوعد، ولا تخون سرًا، وهو ما بقى ميزة له حتى في أسوأ لحظات تعذيبه لاحقًا.

لم يكن النضال حلماً مؤجلاً لديه، بل حياة عاشها بكل انسانيتها وجوارحها. في عام 1946، فصل من وظيفته على يد مدير الأمن العام بهجت العطية*، بعد أن كشفت السلطات عن نشاطه السياسي. لم ينكسر، بل واجه الحياة بشموخ وببساطة متحدية حين قال: "لن أموت من الجوع... سأبيع لبنًا على الجسر". (ج1 ص 32) وفتح كشكًا لبيع الكبدة، ثم الكبة، ثم عمل مفتشًا على باصات النقل، ففُصل ثانية لنشاطه النقابي، ثم عاد إلى التعليم في مدرسة خاصة، ومنها إلى مدرسة التطبيقات.

ما أُغلق باب أمامه، الا وفَتحَ بابًا آخر بإرادته التي لا تكلّ، فكان يُجسّد فعلاً فكرة: أن المناضل لا يُهزم مهما تغيرت

بهجت داود سلمان العطية، ضابط وسياسي عراقي من مواليد البصرة 1900، شغل منصب مدير الأمن العام في العهد الملكي، حصل على لقب باشا، وأعدم بعد ثورة 1958 بسبب دوره الأمني.

الظروف.

في عام 1949، وبعد إحدى المظاهرات، حكم عليه بثلاث سنوات في "نقرة السلمان"*، تبعتها سنتان من الإقامة الجبرية. وبعد خروجه عام 1953، لم ينتظر انتهاء محكوميته، بل فرّ من الرقابة، والتحق بالحزب في البصرة، مسؤولاً عن المنطقة الجنوبية، وهناك اقتضت ظروفه أن يتزوج ليستأجر بيتاً، فاقترن بالرفيقة ثمينة، المرأة التي رافقته حتى النهاية، والتي دونت سيرته بقلب عاشق وعين مؤرخ.

حين تقدم لخطبتها، لم يتحدث عن نضاله ولا عن تضحياته، بل قال بثقة فطرية: "أنا من بيت محترم، من عائلة أعتز بسمعتها". (ج1 ص20) كان يدرك أن النَسَب الحقيقي ليس في الدم، بل في السلوك، وأن الشرف لا **يُرى في النضال، بل امتدادًا طبيعيًا لشرف البيت**.

عام 1955، اختير سكرتيرًا للحزب، في لحظة انتقالٍ ليست تنظيمية فقط، بل روحيّة أيضًا.. من صفوف المعلمين إلى صدارة التنظيم، من تدريس الخط والرسم إلى وضع الخطط ورسم التوجهات لبناء الفكر الثوري. غير أن الجمال لم يغادر روحه قط، بل رافقه حتى في عتمات السجون، وحتى وهو

*** نقرة السلمان منشأة صحراوية في جنوب العراق بمحافظة المثنى، عرفت كسجن سياسي قاسٍ منذ عشرينيات القرن الماضي، ونُفي إليها كثير من المثقفين والمعارضين، فصارت رمزًا للنضال والمعاناة الإنسانية.**

يُعلَّق من ساقيه وتُقتلع عيناه في دهاليز قصر النهاية* لقد كان إنسانًا في أقصى درجات النبل، يحب عائلته كما يحب الوطن، ويتحدث إلى أطفاله بنفس الحنان الذي يخاطب به الجماهير. في روايات زوجته، نلمح كم كان حريصًا على عائلته واطفاله، رغم انشغاله المطلق بالنضال والعمل السري.

كان يرى في الجماهير ليست جمهورًا مؤقتًا، بل الحاضنة الأصلية للتغيير، ورفض النظرة الفوقية أو البطولة الفردية. كان يؤمن بالقيادة الجماعية، ودفع ثمن مواقفه عندما نُقل إلى الفرات الأوسط ـ قبل انتخابه سكرتيرًا للحزب ـ لكنه لم يتوقف، بل اندمج مع الفلاحين والمنظمات المدنية، في تجربة نضالية أعادت الحزب إلى خطّه الجماهيري.

إن وعيه السياسي لم يكن مستوردًا، بل نابع من صميم التجربة الشعبية. لم يُغره المنصب، ولم يُضلله المجد، بل ظل ذلك الإنسان الذي يكتب لافتة بخطّه ليزيّن بها محل بائع كبدة، ويعلّم تلميذةً كيف تمزج في رسمة واحدة بين حزن العيد وفرحة الأمل.

لم يكن سلام عادل صوتًا للطبقة العاملة فحسب، بل ضميرها الحي، وظلّ حاضرًا في وجدان العراقيين، لا كشهيد فقط، بل كرمزٍ عاش ومات للناس.

*** قصر النهاية هو معتقل سيء الصيت في بغداد، استُخدم خلال الستينيات والسبعينيات لتعذيب وتصفية المعارضين السياسيين، وارتبط بجرائم وانتهاكات واسعة ضد حقوق الإنسان في العراق.**

لقد أحبّ الحياة، ولذلك قاوم الموت. أحبّ الجمال، فكان جماله فعلًا سياسيًا. أحبّ الوطن، فكان وجه الوطن آخر ما رآه حين اقتلع الجلادون عينيه.

وها هو، بعد كل هذه السنوات، لا يزال حيًا في دفاتر التلاميذ، وفي ذكريات الرفاق، وفي ضمير وطنٍ لا يزال يبحث عن حريته.

هذه الصفحات ليست تأريخًا فقط، بل بيانٌ إنسانيٌّ يُعلّمنا أن البطولة الحقة لا تصنعها الهتافات، بل يصنعها رجالٌ يعبرون الحياة كشموع، تذوب لتنير، وتموت لتحيا في وجدان الناس.

الفصل الثاني

الضمير الحي في مواجهة العواصف

في خضم العاصفة السياسية التي اجتاحت العراق والمنطقة في خمسينيات القرن العشرين، يسطع اسم سلام عادل لا بوصفه رقماً في معادلة حزبية، بل باعتباره **ضميرًا حيًّا** ورمزًا استثنائيًا، اجترح من القيم والمبادئ جسورًا بين الشعب والحزب، ومن الحكمة صراطًا يهتدي به سالكو دروب الثورة. لم يكن قائدًا سياسيًا حسب، بل إنسانًا يفيض وعيًا، ويمتاز برقّة الشعور، وشجاعة في الموقف، ونُبل في الفعل، لا تزعزعه عواصف الأنانية الحزبية، ولا تستهويه غوايات السلطة؛ بل مضى في طريقه متسلّحًا بالبوصلة الأخلاقية التي كانت تنبض في أعماقه.

سلام عادل في تلك المرحلة لم يكن صوتًا مرفوعًا في وجه الخصوم، بل وايضًا **ضميرًا وطنيًا** يختزن بلاغة الفداء، ويجيد صمت الحكماء في زمنٍ غصّ بالشعارات وضجّ بالسيوف ويتجلى ذلك في:

أولًا: مواجهة التفرد وإصراره على القيادة الجماعية (حميد عثمان نموذجًا)

حين تسلّم قيادة لجنة بغداد عام 1954، كانت المدينة ترزح تحت وطأة القمع الأمني، لكنه لم يكن من أولئك الذين يضطربون في الظلال، بل بدا كما لو كان عازفًا ماهرًا يُنَظّم إيقاع المقاومة وسط الضجيج. لم يكن قائدًا يوجّه من برج عاجي، بل من قلب الشارع، بين العمّال والطلبة والنساء الكادحات، حيث تُصاغ السياسات بلغة الحياة اليومية لا ببلاغة المكاتب.

من بين المبادرات التي قادها بروح إنسانية فريدة، كانت **حركة أنصار السلام** عام 1954* لم يطرحها كشعار أجوف، بل كمشروعٍ أخلاقي، رؤيويّ، يُجسّد السلام لا بوصفه نقيضًا للنضال، بل شريكًا فيه .**السلام في عينه** كان وليد الرماد لا الاستسلام، وسليل كدّ البسطاء لا رغد المنتفعين، وكان جزءً لا يتجزأ من المشروع الوطني المقاوم.

ورغم حزم سلام عادل التنظيمي، فإن صفحاته تكشف عن **روحٍ شفيفة** :كان يُتابع الرفاق لا بعين الرقابة، بل برعاية من يعرفُ أن الحزب لا يُبنى بالأوامر، بل بالأفكار. كان يُعلّم،

حركة أنصار السلام 1954، منظمة جماهيرية تناضل ضد الحروب، وتدعو للسلام العالمي والتحرر الوطني في العراق، لعبت حركة أنصار السلام دورًا تعبويًا مهمًا، إذ جمعت مثقفين وعمّالًا وطلبة في مواجهة الاستعمار والحروب، وربطت شعار السلام العالمي بالنضال الوطني.

ويُشجّع، ويُصغي، ويصوغ حزبًا من العقول لا من التابعين، وحتى في التفاصيل الصغيرة كالنشرات ولغتها لم يكن يفرض، **بل ينصت لنبض الناس.**

في مواجهة العواصف الكبرى، اختار سلام عادل أن يكون جذرًا لا غصنًا، صمتُه لم يكن تراجعًا، بل موقفًا أبلغ من الخطب. حين كان بعض الرفاق يلوّحون بالمبادئ كما السيوف، كان هو يُذيب تلك الحِدّة في كأس الحكمة، صونًا للوحدة الحزبية، ودرءًا للتمزق الوطني.

وفي خضم التوترات الحادة: من مشروع الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة*، إلى العلاقة الشائكة مع **عبد الكريم قاسم****، مرورًا بأحداث كركوك*** واستقلال الكويت*****

*** طالب سياسيون عراقيون بعد ثورة 14 تموز 1958 بالوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، متأثرين بالمد القومي العربي والرغبة في التقارب مع مصر وسوريا، لكن هذه المطالب لم تتحقق فعلياً بسبب الخلافات الداخلية.**

**** عبد الكريم قاسم (1914-1963) كان ضابطاً عراقياً ورئيس وزراء بعد ثورة 14 تموز 1958 الذي أنهى النظام الملكي. حكم العراق بفترة شهدت تغييرات اجتماعية واقتصادية جذرية، لكنه واجه تحديات سياسية وصراعات داخلية أدت لسقوطه في انقلاب 1963. يعتبر من أهم قادة العراق الحديث لما تركه من إرث سياسي واجتماعي معقد.**

***** في تموز/ يوليو 1959 شهدت مدينة كركوك أحداثاً دامية استمرت ثلاثة أيام وأودت بحياة عدد من أبناء القومية التركمانية وغيرها من القوميات الأخرى في المدينة. جاءت هذه الأحداث في أجواء سياسية متوترة، خاصة مع تصاعد الخلافات مع شركات النفط وتلويح الزعيم عبد الكريم قاسم بتقليص امتيازات الشركات الأجنبية. وُجه إلى بعض أعضاء الحزب الشيوعي. الأحداث محلّ نقاش واختلاف بين المؤرخين.**

****** استقلال الكويت وقع فعلياً في 19 يونيو 1961 عندما أعلن الشيخ عبد الله السالم الصباح إلغاء معاهدة الحماية البريطانية، معترفا بسيادة الكويت واستقلالها. رغم تهديدات العراق بمحاولة ضم الكويت، بقيت دولة الكويت مستقلة بفضل دعم الجامعة العربية والدول العربية التي أرسلت قوات لمنع أي غزو. اعترف العراق رسميًا باستقلال الكويت في 1963.**

لم يكن سلام عادل خطيب انفعال، بل **صوت العقل والاتزان،** لا يُساوم على الجوهر، ولا يُجرّ خلف ردود الفعل. وحين وقعت مجزرة 8 شباط 1963*، لم يُطلِق خطاب وداع، بل **غادر الدنيا بصمت المنتصر أخلاقيًا،** تاركًا خلفه أثرًا لا يمحى في ضمير البلاد.

ومن اللحظات الكاشفة عن معدن الرجال، كانت **مواجهة سلام عادل لتفرّد حميد عثمان** بالقيادة** .لم تكن معارضته مدفوعة بطموح شخصي أو سعيًا للظهور، بل كانت تعبيرًا حيًّا عن التزامه العميق بمبدأ **القيادة الجماعية،** ذلك المبدأ الذي رآه تجسيدًا للديمقراطية الداخلية، واحترامًا لعقل الجماعة.

حين حاول عثمان أن ينسج خيوط الإقصاء عبر تكليفه بمهمّة شكلية لتفتيش منظمة، متوقعًا أن يصطدم بها، تمهيدًا لعزله.

كان رد سلام عادل **نزيهًا ونافذًا.** قَبِلَ المهمة، لكنه تساءل عن **شرعية صفة "المفتش "**التي لا أساس لها في النظام الداخلي للحزب. لم يكن سؤاله شكليًا، بل كان **رسالة مبطّنة،** فضحًا لانحراف المنهج، ودعوة للعودة إلى جذر المؤسسات، لا

*** انقلاب 8 شباط 1963 في العراق هو حركة مسلحة أطاحت بحكم عبد الكريم قاسم، وأتت بحزب البعث إلى السلطة. تميز هذا الانقلاب بالعنف والتوتر السياسي، وأحدث تحولات عميقة أثرت في مسار العراق الحديث وسياساته.**

**** حميد عثمان هو قيادي بارز في الحزب الشيوعي العراقي، تولى مسؤوليات تنظيمية في مدينة سليمانية خلال أواخر خمسينيات القرن العشرين. وقد قاد الحزب لفترة قصيرة في عام 1959 قبل أن يُعتقل بسبب التوترات السياسية الداخلية والخارجية التي شهدها العراق آنذاك.**

فروع الأهواء. (ج1 ص 83)

وعندما جاءه تكليف آخر بقيادة الفرات الاوسط، أجاب بجملة تُدرّس في أخلاقيات العمل السياسي:**"موافق، وسأذهب، ولكن أرجو بحث ما بيننا في أول اجتماع قادم للجنة المركزية.** (ج1 ص83)**"** بهذا الرد، وضع **القانون فوق الأهواء، والمبدأ فوق الأشخاص،** وأثبت أن الأخلاق في السياسة ليست ترفًا بل ضرورة.

هكذا كان سلام عادل**..** رجلًا من لحم الفكرة ودم المبادئ، مضى في دربه غير هيّاب، كأنما ولد ليكون **صوت الضمير حين تصمت الأصوات، ولغة العقل حين تغمر الدنيا بالعواصف.**

ثانيًا: العمل في الفرات الأوسط – معركة الإنسان والكرامة 1954

لم يكن انتقال **سلام عادل** إلى قيادة الفرات الأوسط مجرّد حركة تنظيمية عابرة، بل كان **تحوّلًا وجوديًا** في مسيرة رجل أدرك أن السياسة، إن لم تكن تجسيدًا للعدالة ومرآة للكرامة، فهي وهمٌ أجوف. لم ينظر إلى الفلاحين ككتلٍ بشرية أو أرقام في تقرير حزبي، بل رأى فيهم **أرواحًا مثقلة بالجوع والخذلان، متعطّشة للإنصاف،** تنشد الكرامة قبل الخبز.

خطته كانت جليّة: **أن يُبنى التنظيم من الأرض، لا من المكاتب؛ من الريف، لا من العاصمة؛ من المعاناة، لا من**

التنظير. وهكذا اندمج في صميم حياة الفلاحين، من الرميثة إلى هور الشويجة، ومن البو حسان* إلى أعماق القرى المتوارية عن خرائط السلطة، حيث اندلعت شرارات الانتفاضات بفضل تعاطفه الحيّ مع نضال الناس ضد الإقطاع والحرمان.

تلك ليست شهادة على فِعلٍ سياسيٍ فقط، بل على **ضمير لا ينام**، وروحٍ لا تستريح ما دامت الأرض تنزف جوعًا. كان ينام متأخرًا، بين دفتي كتاب أو فكرة، وبين يديه ورقة وأمل. وكان يسهر لا مدفوعًا بالقلق الشخصي، بل بهواجس البسطاء وآلامهم. يروى أحد رفاقه قائلاً: **"حسبت أنه قد نام، وإذا به بعد ساعة يقول: يبدو أن لدي فكرة لعمل فلاحي جديد"**. (ج1 ص86)

في تنقّله بين مدن الفرات الأوسط، لم يكن سلام عادل قائدًا يُنقل بقرار حزبي فحسب، بل **حاملًا لرسالةٍ إنسانية أينما حلّ.** لم يَسْعَ خلف اللافتات أو الهتافات، بل أنصت للناس، لأحزانهم قبل طموحاتهم، لنبضهم العميق الذي لا تسمعه الميكروفونات.

كما وصفته رفيقة دربه، **ثمينة ناجي**، كان رجلًا يُصغي، يتفاعل، ويتحدّر قراره من وجدان الناس، لا من تنظيرات الكتب. كان يُعلّم الأطفال الرسم، لا بوصفه هواية، بل

*** الرميثة: الرميثة مدينة عراقية ومركز قضاء في محافظة المثنى جنوب العراق.**
هور الشويجة: هور الشويجة وهو أحد أهوار محافظة واسط في العراق ويقع شرق نهر دجلة بين قضاء علي الغربي والكوت.
البو حسان: احدى عشائر بني حجيم العراقية.

كتمرين على الحلم .وكان يُخرج المسرحيات كأنها **بيانات ثورية على خشبة الخيال**، حيث يُستنهَض الوعي لا بالغضب وحده، بل بالأمل والحب والانتماء.

لم يكن يُربّي الرفاق بالأوامر، بل بألفة الحضور؛ لم يفرض احترامه، بل **احتواهم بمحبة العقل وعدالة القلب.** أحبه الطلبة والأساتذة والعسكريون، لأنه لم يكن غريبًا عنهم، بل واحدًا منهم.

في الديوانية، جلس بين الطلبة، ورافق قلقهم، وشاركهم نضالهم في معركة الانتخابات عام 1954، لا طلبًا للسلطة، بل **تأكيدًا أن الشعب يجب أن يكون جزءًا حيًّا من القرار السياسي.**

ورغم أن الخطر كان يُحدّق به كل لحظة، ظلّت إنسانيته متوهّجة: يبتسم للأطفال، يكتب، يقرأ، ويخطط، كما لو أن الحلم ممكن رغم كل الجدران. كان رجلًا لم تبتلعه الخشية، ولم تسكن قلبه سموم السلطة. وفي كل مدينة مرّ بها، **ترك أثرًا لا يُمحى: وعيًا متوهّجًا، علاقة صادقة، أو حكاية تروى وتُلهم.**

ثالثًا: انتخابه سكرتيرًا للحزب – من الأخلاق إلى الفعل

في حزيران عام 1955، انتُخب **سلام عادل** سكرتيرًا للحزب بعد تجميد عضوية حميد عثمان. لكن المفارقة أن لحظة

صعوده لم تكن مشهد احتفال، بل **ومضة صامتة من التواضع والمسؤولية**. لم يُبدِ فرحًا، ولم يتباه، بل عمل بهدوء ضمن تطبيق خطته: **"بتوحيد الحزب، والقضاء على الانشقاقات، وإقامة الجبهة الوطنية"**.

لم تكن في عباراته نبرة انتصار، بل **إحساس ثقيل بثقل المرحلة**، وإدراك عميق أن المنصب ليس تشريفًا، بل **تجسيد لواجبٍ أخلاقي جسيم**.

كانت تلك اللحظة بمثابة تحوّل من الإنسان الحالم إلى الإنسان الفاعل، من الأخلاق المجردة إلى الفعل السياسي المسؤول. كان سلام عادل **ضميرًا حيًا في جسدٍ منهك، يقاوم لا فقط من أجل حزب، بل من أجل إنسانية مهدّدة بالوأد**.

مكانه كان دائمًا على التخوم: بين الصمت والكلمة، بين الطاعة والنقد، بين الحنان والانضباط، بين **الفكرة والرحمة**. فيما بين السطور من حياته، لا نقرأ مجرد سيرة مناضل، بل نلتمس **صراعًا داخليًا عميقًا بين المثال والممكن، بين الوفاء للمبادئ والوفاء للناس**. ما ينتصر فيه دائمًا ليس الفكرة المجردة، بل **الإنسان حين يُنقذ الفكرة من التحجر**.

لهذا، لم يكن سلام عادل رجل حزب فقط، بل **رجل قضية، رجل وفاء لا يتزعزع، رجل أحلام الفقراء**، وبوصلة الأمل في زمن الخيبات.

لقد كان من طينة الأبطال الذين لا يُصاغون بالبيانات، بل **يُنحتون بالصبر، وبجراح الكرامة، وبشرف التضحية الطويلة**.

رابعًا: قرارات تموز 1955 – السياسة كأخلاق

قرارات اللجنة المركزية التي قادها سلام عادل لم تكن جملًا سياسية باردة، بل تجسيدًا لرؤية اجتماعية وإنسانية عميقة. نادت بالحرية والديمقراطية والدستور، ورفضت الخضوع للإملاءات الاستعمارية. ودعت إلى تعبئة الجماهير للنضال في سبيل الحريات.

لقد واجهت هذه القرارات لاحقًا سخرية الكتلة المتزمتة، لكنها كانت تنضح بوعي إنساني عالٍ: الكفاح لا يُخاض بالشعارات، بل بربط القضايا السياسية بآلام الناس، وبصناعة الأمل الممكن. وكانت هذه هي سياسة سلام عادل الحقيقية: جعل السياسة فعل حب، وفعل خلاص جماعي.

خامسًا: حين تقود المبادئ، جبهة الكفاح الوطني*

لم يكن دخول الحزب الشيوعي العراقي في **جبهة الكفاح الوطني** وليد مصلحة عابرة، بل كان ثمرة قراءة ثاقبة للواقع، وإيمان حقيقي بأن وحدة الصف هي الخطوة الأولى لتحرير

*** جبهة الكفاح الوطني، تحالف سياسي عراقي تأسس 1954، جمع القوى الوطنية. ضمت من الشيوعيين (سلام عادل، والحيدري)، ومن الوطني الديمقراطي (الجادرجي)، ومن حزب الاستقلال (إبراهيم كبة)، ومثقفين مستقلين، لمواجهة الاستعمار وأحلافه والدفاع عن الديمقراطية وصيانة الحريات.**

البلاد من الاستعمار.

لقد قدّم الحزب، **بإرادة صلبة وتنازلات نبيلة**، نموذجاً في تقديم الوطن على الحزب، وكان سلام عادل مهندس هذا التوازن الدقيق. برز حضوره الأخلاقي والسياسي في المواقف المصيرية: **مناهضة حلف بغداد*، التضامن مع مصر إبان العدوان الثلاثي**، دعم انتفاضة تشرين 1956*****، الدفاع عن حقوق الأكراد، وتأسيس جبهة الاتحاد الوطني التي مهدت فيما بعد لثورة 14 تموز 1958******

كل تلك المبادرات لم تكن مجرد صفقات سياسية، بل فعلًا صادقًا في إعادة اللحمة الوطنية و**دعوة للمصالحة بين الوطن وذاته**. كان سلام عادل يؤمن أن السياسي لا يُقاس بعدد شعاراته، بل بقدرته على الإصغاء، على التراجع متى اقتضت

*** حلف بغداد هو تحالف عسكري أُنشئ عام 1955 بزعامة بريطانيا، ضم العراق وتركيا وإيران وباكستان، بهدف مواجهة النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط خلال الحرب الباردة. انسحب العراق من الحلف بعد ثورة 1958، وتحول الحلف فيما بعد إلى منظمة المعاهدة المركزية (CENTO) التي انتهت عام 1979.**

**** العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 هو هجوم عسكري مشترك من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل رداً على تأميم الرئيس جمال عبد الناصر لقناة السويس، وأسفر عن مقاومة شعبية وبطولات عسكرية كسرت مخططات القوى الاستعمارية، وكان نقطة تحوّل في تاريخ المنطقة ونظام العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية.**

***** انتفاضة تشرين 1956 في العراق هي احتجاج شعبي اندلع في مدينة الحي بمحافظة واسط تعبيرًا عن رفض العدوان الثلاثي على مصر وسياسات الحكومة الملكية الموالية للغرب. قادها طلاب ونشطاء يساريون وقادت إلى مواجهات دامية مع القوات الأمنية، واعتُبرت تمهيدًا لثورة 1958 التي غيرت مسار العراق التاريخي.**

****** هي الثورة التي قادها الضباط الاحرار وأنهت النظام الملكي واقامت النظام الجمهوري في العراق.**

مصلحة الجماهير، والتقدم حين تستدعيه اللحظة.

سادسًا: المثقف الثوري: من التنظير إلى الفعل

ما يميز سلام عادل في تلك الفترة أنه لم يكن مفكرًا يكتفي بالتنظير، **بل بإنسانية القائد نزل إلى الشارع، ناقش البسطاء**، كتب **الميثاق الوطني* بلغة الناس، لا بلغة النخبة.** رأى أن الثورة تبدأ من تصحيح العلاقة مع الجماهير، وأن أولى معارك التحرير **هي محاربة الاستبداد الداخلي داخل الحزب والسلطة وفي بنية المجتمع.**

رفض التحالفات الفوقية، وهنا تظهر **عبقريته السياسية الأخلاقية:** لا يرضى بالنصر السريع إن كان ذلك سيكلف الناس وحدتهم، ولا يقبل بالتحالف ما لم يخدم الهدف الأسمى.

وأصرّ على أن يكون كل اتفاق ثمرة نضج شعبي. **كانت نظرته للثورة جذرية، لكنها إنسانية:** الثورة ليست فعل قطيعة، بل فعل وصل، وليست شهوة سلطة، **بل مشروع تحرير أخلاقي.** سلام عادل في هذه الصفحات ليس رجلًا يصنع الأحداث فقط، بل **رجلٌ يُهذّبها،** ليس قائدًا يُصدر الأوامر، بل إنسانٌ يُصغي أولًا لصوت الوطن، ولآهات الناس، ولخطى التاريخ القادمة من الأفق.

*** الميثاق الوطني: وثيقة سياسية تعبيرية بلغة مبسطة تجمع بين القيم الوطنية والمبادئ الديمقراطية، هدفها بناء وحدة وطنية شاملة، وتعزيز الحرية والمساواة، ورفض الاستبداد والهيمنة الأجنبية في العراق خلال خمسينيات القرن العشرين. كتب لتوحيد الشعب العراقي حول مشروع وطني نقيّ وشامل يعكس تطلعات الجماهير نحو حرية حقيقية وعدالة اجتماعية.**

سابعًا: ثورة داخل الحزب بثوب إنساني

ما فعله سلام عادل لم يكن إعادة ترتيب تنظيمي، بل ثورة هادئة داخل الحزب. حوّله من هيكل بيروقراطي إلى كيان حي ينبض بالحب والمسؤولية. **فتح أبواب المشاركة، شجع على النقد، ورفض تقديس القادة.**

عاد الرفاق إلى الحزب، لأنهم رأوا فيه ضميرًا لا سلطة، ورأوا في قيادته نموذجًا يُحِب، يُصلِح، ويُعلِّم.

حين تتولى القيادة أرواح مثل سلام عادل، تتحوّل السياسة إلى فعل وفاء. لم يسعَ إلى المجد، بل إلى بناء أمل. لم يطلب الهتاف، بل رغب في الوعي. ومضى في طريقه، محاطًا بالحب، مُسلحًا بالإيمان، ثابتًا في المبدأ، نقيًا كالحلم، حيًّا في الذاكرة.

سلام عادل، هو القائد الذي لم يتسلّق على ظهر الجماهير، بل سار معها، وتقدّمها حين احتاجته، ووقف خلفها حين حان أوان الحصاد. هو الإنسان الذي ارتقى فوق اللحظة، ليكون سيرة تتعلّم منها الأجيال، وضميرًا باقٍ رغم الغياب.

الفصل الثالث

الكونفرنس الثاني للحزب 1956: انبثاق التحوّل العظيم

في قلب الاحداث السياسية التي عصفت بالعراق خلال خمسينيات القرن العشرين، لم يلمع اسم **سلام عادل** بوصفه رتبة حزبية أو مقامًا تنظيميًا فحسب، بل تجلّى كحضور استثنائي، حمل يقظة الضمير الوطني في طياته، ومضى لا كمجرّد حامل لشعار، بل كجسر حيّ بين الفكرة والإنسان، بين الحلم والفعل، بين الأرض والسماء. لم يكن شيوعيًا بالمعنى النمطي الذي يُكرّر خطابًا محفوظًا، بل كان إنسانًا صقلته التجربة، وعلّمه الصمت ما لم تقله المنابر، حتى غدا سكوته، في لحظات، أبلغ من هتافات الجموع.

يبدأ هذا الفصل من سيرته، حيث كانت ملامح التحوّل تُولد لا كقرارات تتلى على الورق، بل كحياةٍ تنبثق من تحت ركام القهر، كنبتةٍ خضراء تشقّ صدر الصخر الصلب، ترفض أن تموت.

لقد كان روحًا تقاتل في معركتين: معركة ضد قسوة الواقع السياسي، ومعركة أعمق ضد ضمور الضمير في أزمنة الخوف والانكسار. كان ساهرًا على نقاء الغاية، كما يسهر المقاتل على خندق رفاقه في الليل الطويل.

"بعد اعتقالات واعدامات قيادات في الحزب"* التي تبعتها الكثير من التكتلات والانشقاقات وشملت شبكة معقدة من قيادي الحزب، إضافة الى التعقيد الدولي، تسلّم **سلام عادل** القيادة، في ذلك المنعطف، مدركًا أن المطلوب لم يكن مجرّد إعادة ترتيب الصفوف، بل استعادة المعنى، وترميم الثقة المفقودة بين الحزب وجماهيره، بين العقيدة النضالية وهموم الإنسان اليومية، بين الثورة كفكرة، والحياة كنبض. انعقد الكونفرنس الثاني للحزب الشيوعي العراقي أيلول عام 1956، في لحظة بدت وكأنها على حافة التاريخ، لحظة مشحونة بالتوتّر المحلي

في ذلك المؤتمر، نهض سلام عادل كمُهندسٍ روحي، بل يُعيد بثّ الحياة في العروق اليابسة. لم يكن يكتب البرامج فحسب، بل كان يبعث فيها حرارة الدم، ويغرس فيها وهج الإيمان، حتى تشرق من جديد. كان يرى في رفاقه لا أرقامًا ولا أدوات، بل أرواحًا نابضة تحمل على أكتافها تعب الفلاحين، وفي جباهها عرق العمّال، وفي عيونها حلم الفقراء بالعدل.

*** وقعت إعدامات لقيادات الحزب الشيوعي العراقي في 14 شباط 1949، والتي شملت يوسف سلمان فهد، زكي بسيم (حازم)، وحسين الشبيبي (صارم). كما أُعدم الشهيد ساسون دلّال في أيار من العام نفسه.**

ولهذا، كان يرفض أن يتحوّل الحزب إلى نادٍ نخبوي، مغلق، يتنصّل عن جذوره، وينفصل عن الأرض التي أنجبته والناس الذين وهبوه معناه.

في هذا الكونفرنس، تبلورت رؤية: أن الحزب ليس طليعة منعزلة في برج أيديولوجي، بل جزء لا يتجزأ من نبض الشارع، من لغة الخبز والماء، من وجع السكن وصرخة الحرية. لم تعد الشعارات الثورية وحدها كافية، بل بات المطلوب لغة جديدة، حقيقية، تعكس قلق الناس وتطلعاتهم. وسار سلام عادل بهذا التحوّل بعين بصيرة وضمير يقظ، مؤمنًا أن شيوعية بلا روح اجتماعية ليست إلا طقسًا أجوف، بلا حياة.

دعا إلى تجديد القواعد، لا بهوس الإزاحة، بل بروح الاحياء، وإلى تفعيل المنظمات الديمقراطية، وفتح النوافذ للتيارات الوطنية الأخرى، لا من باب المجاملة، بل من إيمان راسخ بأن التنوع إثراء لا تهديد. وفي كل ذلك، كان سلوكه هو الدليل، إذ تجلّى فيه ما نادى به، فصار قدوة حيّة لا خطيبًا يُصفّق له.

لقد أصرّ على أن تكون وثيقة المؤتمر **مرآة للوحدة لا للفرقة، وللأمل لا للمرارة، وثيقة تعترف بالقصور لا لتبرير الخنوع، بل لتشعل جذوة الإصلاح**. لقد بدا، في كل خطوة من خطوات هذا التحوّل، لا كزعيم سياسي فحسب، **بل كضمير جماعي**

يتجسد في إنسان، يرى في كل رفيق ليس مجرد ركن من التنظيم، بل حاملًا لجمرة الحلم وماء المستقبل.

أولًا: سلام عادل في تشرين 1956: حين صار العراق قلبًا عربيًا نابضًا

لم يكن العدوان الثلاثي على مصر في أواخر أكتوبر 1956 مجرد صدمة سياسية في المنطقة، بل كان **جرحًا في القلب العربي لكل حرّ، ونداءً أخلاقيًا لمسؤولية تتجاوز الجغرافيا .** وقد كان سلام عادل أول من لبى هذا النداء لا بمنشور فقط، بل **بوجدانٍ مشتبكٍ مع آلام الأمة.**

في تلك الأيام، لم يكن الرفيق سلام عادل يتعامل مع مصر بوصفها "دولة شقيقة"، بل **كأنها أمّ مجروحة، كأن الكرامة العراقية قد دُهست على تراب السويس، وكأنّ نَفَسه الثوري لا يكتمل إلا إذا امتزج بأنين الشعوب المقهورة.**

فهو لم يدعُ إلى الانتفاضة بدافع المكاسب الحزبية أو السبق الثوري، بل فعل ذلك **بدافع الضمير الأخلاقي العميق الذي لا يعرف الحياد في وجه الظلم** .لقد شعر، كابن صادق للعراق، أن ما يحدث في مصر يحدث في النجف، في الموصل، في البصرة وفي أحياء بغداد الفقيرة.

أصدر الحزب بقيادته بيانًا يدعو إلى إضراب عام تضامنًا مع مصر، **لكن خلف البيان، كان هناك إنسانٌ يتوجع، يبكي في**

صمت، ويشعر أن كل طلقة تُطلق على بورسعيد تصيبه هو في صدره.

ثانيًا: قائد يسير مع الجماهير لا أمامها

في كل مدينة عراقية خرجت مظاهرة أو إضراب تضامني، كانت روح سلام عادل ترفرف معها. لم يكن يُمسك بزمام القرار من مكتب حزبي بارد، بل **كان يزرع ثقته في رفاقه، يترك لهم حرية الخلق، يؤمن بقدرتهم على تحويل الألم إلى فعل، والغضب إلى وعي.**

لم يتردد في بناء قيادة ميدانية موحدة تضم ممثلي مختلف الأحزاب الوطنية، مما يظهر أنه **كان يرى في الوحدة الوطنية إنسانية أسمى من الانتصار الفئوي.**

سلام عادل لم يكن يخوض معركة كارهًا لأعدائه فقط، بل **محبًا لأشقائه** .لقد جسّد جوهر التضامن الإنساني حين لا يعود الظلم محليًا، بل حين **يُصبح الشعور بالعدالة موقفًا كونيًا يتجاوز الحدود.**

وهنا تتجلى إنسانيته في أوضح صورها: ثائرًا لا يكره لأن في قلبه مكانًا للحب، ولكنه لا يسكت لأن قلبه لا يحتمل الجُرح.

ثالثًا: الإضرابات لم تكن أوامر حزبية... بل صرخة من قاع الوجدان.

حين عمّت الإضرابات أحياء العراق، من كليات الطلبة إلى سوق القصابين في الموصل، لم تكن بفعل آلة حزبية عمياء، بل **بفعل كرامة شعب استنهضها رجل مؤمن بأن الشرف لا يقبل القسمة، وبأن الحريّة لا تخص شعبًا دون آخر.**

وسلام عادل، في هذه اللحظة، لم يبعث الحياة في جسد الانتفاضة فقط، بل **نفخ الروح في مفهوم "الإنسان العربي الحر"، وكتب بدمه أن التضامن ليس ترفًا نضاليًا، بل واجبًا أخلاقيًا.**

رابعًا: الرفيق الذي أحبّ أمّته كأمّه

سلام عادل لم يطلق الشعارات كمنظر، بل عاشها. لم يقل "نحن مع مصر" بل **شعر أن ما يُدافع عنه عبد الناصر*، هو ذاته ما حلم به سلام حين كان يعلّم أبناء الديوانية الرسم والمسرح: أن يكون الإنسان حرًّا، كريمًا، قادرًا على قول (لا).** ولهذا لم يُضبط يومًا في ارتباكٍ وطني أو عاطفي، لأنه **لم يكن يلعب دور القائد، بل كان يعيش دور الإنسان.**

*** جمال عبد الناصر (1918–1970) قائد ثورة 23 يوليو 1952 في مصر، وأول رئيس فعلي للجمهورية. رسّخ مشروعه القومي العربي، وأمّم قناة السويس سنة 1956 متحدياً النفوذ الاستعماري، خاض الوحدة مع سوريا، وقاد سياسات اشتراكية للتنمية. مثّل رمزاً للتحرر الوطني رغم هزيمة 1967.**

خامسًا: سلام عادل في انتفاضة تشرين 1956*: حين يصبح القائد ضمير أمة

في انتفاضة تشرين عام 1956، لم يكن سلام عادل مجرد قائد شيوعي يمسك بزمام التنظيم، بل كان تجلّيًا نادرًا لضميرٍ إنساني يتغلغل في نبض الشارع، ويتنفس الألم الجمعي كما لو كان دمه يسيل من جراح الآخرين، بل يسير معهم في الدرب ذاته، يحمل الحلم لا الهتاف، ويقود بالحبّ لا بالزجر، بالصدق لا بالزهو. لم يكن يتطلع إلى المجد لنفسه، بل إلى كرامةٍ تعمّ شعبه، حرية تُنقذ الإنسان من الذلّ، لا تُقدَّم قرابين لمجدٍ أجوف.

في تلك اللحظة المفصلية من التاريخ، حين كان الوطن يئنُّ تحت قبضة الطغيان، تجلّى سلام عادل لا كخطيبٍ يملأ الميادين بشعاراتٍ جاهزة، بل كإنسانٍ يضيء الدرب بنضاله، ويمنح المعنى العميق للثورة: أن تُعيد للإنسان قيمته، أن توقظه من قهره، ليقف، رافع الرأس، نقيّ القلب، شريف السلوك، متقدًا بمحبةٍ لا تنطفئ، حاضرًا في معركة كل مظلوم، مهما كان اسمه أو لونه أو انتماؤه. لقد آمن أن جوهر الثورة ليس في هدم عروش المستبدين فحسب، بل في بناء إنسانٍ لا يركع، لا يستسلم، ولا ينسى أن الحرية تبدأ من الداخل. وبهذا الإيمان، رسم سلام عادل صورة الثائر الحقيقي: لا ذاك الذي

*** انتفاضة تشرين 1956 بالعراق، هبّة جماهيرية ضد العدوان الثلاثي، ربطت النضال الوطني بالقضية العربية، وواجهت الاستعمار وأحلافه ببطولة. وقد لخّصها سلام عادل في كراسه "انتفاضة 1956 ومهامنا في الظرف الراهن.**

تغريه السلطة، ولا الذي يُسلم روحه للعنف الأعمى، بل من تسوقه أخلاقه لا أهواؤه، ويقوده حلم يتجاوز ذاته إلى مصير شعبٍ بأكمله.

سلام عادل لم يكن صدى لعقيدة، بل نبوءة لإنسان جديد. كان ضميرًا حيًّا ينبض باسم الجماعة، يسير مع الناس لا أمامهم ولا فوقهم، وكان كل ما فيه يقول: الثورة الحقة، هي تلك التي تنبع من محبة الإنسان، وتثمر كرامةً للناس جميعًا.

تتتبع هذه الصفحات وقائع انتفاضة تشرين المجيدة، وما أعقبها من عصيانٍ مسلح في قضاء الحيّ، وتكشف النقاب عن الدروس العميقة التي أفرزتها تلك الانتفاضة*، والتي شكّلت منعطفًا سياسيًا وفكريًا حاسمًا في مسيرة الحزب الشيوعي العراقي. وقد توّج سلام عادل هذه المرحلة برسالة داخلية، نقض فيها النزعات الفوضوية الداعية لعمليات الاغتيال، وبيّن فيها أن الثورة، إن هي انزلقت في مستنقع العنف الأعمى، فقدت روحها ومعناها.. لتنتهي هذه المرحلة بتأسيس جبهة الاتحاد الوطني عام 1957، كمشروع وطني وحدوي يفتح الباب أمام آفاق جديدة للنضال المشترك.

لا يظهر سلام عادل في هذه الصفحات كمنظّر سياسي عابر، أو سكرتير حزب يخطط للمرحلة القادمة، بل يتجلّى كضمير

*** انتفاضة الحي 1956، عصيان جماهيري مسلح ضد النظام الملكي والإقطاع، جسّد بطولة الشعب، ورسّخ وعيه الكفاحي ضد الاستعمار وأحلافه. شارك في انتفاضة الحي 1956 الشيوعيون والوطنيون الديمقراطيون، ومعهم العمال والفلاحون والطلبة، فتجسدت وحدة القوى الشعبية ضد النظام الملكي وحلفائه**

حيّ، وقلبٍ نابض بالمسؤولية الأخلاقية. نراه يواجه تيارات العنف داخل حزبه بحزم نادر، ويكتب بصدق لا يخلو من الألم: إن الثورات لا تُبنى على الدماء العبثية، بل على وعيٍ حي، وتنظيم صلب، وموقف أخلاقي لا يهادن. هنا، نراه وقد بلغ ذروة إنسانيته، يذود عن نقاء الثورة كما يُذاد عن شرفٍ عريق، مؤمنًا بأن الكرامة لا تُستردُّ بالثأر، بل بالعدل.

في رواية انتفاضة الحيّ، لا يطلّ سلام عادل علينا كبطل عسكري يفرض هيبته على الناس، بل كإنسانٍ نذر قلبه لهمس الجماهير. يتفقد الفلاحين، يُصغي للنساء المهمشات، يُصوغ من آلامهم برنامجًا للنضال، ويغرس أقدامه في تراب الأحياء الشعبية لا كغريب، بل كواحد من أبنائها. لم يكن طاغية متنكرًا في زي ثائر، بل كان المثقف العضوي الذي بشّر به غرامشي*، لكنه كان أكثر إنسانية، وأقل نرجسية، وأشد تواضعًا من كلّ وصف نظري.

أما درسه الأعظم، فكان ذاك الذي كتبه بصلابته لا بقلمه: أن لا مكان للانتقام في ثورةٍ تؤمن بالعدالة. وحين وقف ليواجه تيار الاغتيالات داخل حزبه، لم يتردد في أن يصدح بالحقيقة، قائلاً: "إن الانتصار على العدو لا يتحقق بتقليد سلوكه الوحشي. "كانت كلماته هذه أكثر من مجرّد توجيه حزبي، بل كانت صرخة ضمير، وخارطة طريق لما ينبغي أن تكون

** أنطونيو غرامشي فيلسوف ومناضل ماركسي إيطالي، ولد في بلدة آليس بجزيرة ساردينيا الإيطالية عام 1891، وأصبح عضوا في أمانة الفرع الإيطالي من الأممية الاشتراكية .

عليه ثورات المستضعفين: ثورات نقيّة، تشتق مشروعيتها من عدالتها، لا من حجم جراحها.

سادسًا: تأسيس جبهة الاتحاد الوطني1957*: الحلم بوطن لا تقطعه الحراب

وفي ختام هذه المرحلة، تطل علينا صورة القائد الذي لا يكلّ من الحلم. ففي العام 1957، كان سلام عادل من أبرز مهندسي جبهة الاتحاد الوطني، واضعًا نصب عينيه وحدة القوى الوطنية في مواجهة الاستعمار والتبعية. لقد فهم أن معركة التغيير لا تُخاض بالانعزال أو بالوصاية، بل بالائتلاف والإيمان بالآخر. إنه القائد الذي لم يكن يؤمن فقط بحزبه، بل بقدرة الوطن على أن يتسع للجميع.

لم يكن تأسيس جبهة الاتحاد الوطني فعلًا سياسياً عابرًا، ولا تحالفًا بين قوى متنافرة تُجمعها الضرورة وتُفرّقها الطموحات، بل كان تتويجًا مؤلمًا لتجارب متراكمة من الانكسارات والانتصارات، من خيبات أمل تشظّت في الميادين، ومن إيمان عنيد ظلّ يشتعل تحت رماد القمع والصمت. في قلب هذه اللحظة، كان صوت سلام عادل حاضرًا، لا كزعيم يلوّح بالتعليمات، بل كإنسان جمعته التجربة الطويلة بجراح الجماهير وأحلامها.

*** ائتلاف وطني عراقي ضمّ الحزب الوطني الديمقراطي، حزب الاستقلال، حزب البعث العربي الاشتراكي، والحزب الشيوعي عبر واجهات مستقلة، إضافة إلى شخصيات وطنية، بهدف توحيد النضال ضد الاستعمار، إسقاط النظام الملكي وحلف بغداد، وتحقيق الحريات الديمقراطية.**

لقد كان يؤمن أن الحزب الحقيقي لا يحيا في الأبراج النظرية ولا في مكاتب النخبة، بل في عَرق العامل القَلِق، وفي أسئلة الفلاح البسيط، وفي وجع الشاب الذي يتمرد على هامش الوطن. حين طُرحت الأهداف الكبرى للجبهة: من حلّ المجلس النيابي، إلى الانسحاب من حلف بغداد، إلى إطلاق الحريات وإلغاء الإدارة العرفية، لم تكن تلك طروحات نخبويّة صمّاء، بل كلمات مُستلّة من قلب الشارع، كأنها أخيرًا منحت اللغة لآهات الصامتين.

ورغم الحماسة، لم يُخدع سلام عادل ببريق اللحظة. كان يرى أن الجبهة، بكل ما فيها من رمزية عظيمة، لم تكن كافية لتلبية أشواق الكادحين والمهمّشين، لكنها مع ذلك شكّلت أول معبر يُطل منه العراق على احتمالات إنسانية جديدة، على أفق يكون فيه للكرامة موطئ قدم، وللعدالة معنى غير مستعار.

سابعًا: التحضير لثورة 14 تموز*1958: القصيدة التي كُتبت بالصمت

لقد كان سلام عادل في هذه المرحلة، كاتبَ البيانات، وشاعر السرّية ومهندس اللحظات التي تسبق الانفجار. كان يعي ان الثورة لا تُولد من نوبة غضب، بل تنمو مثل حبة قمح صامتة في أرض الامل، وتُروى بتضحيات الذين لا تُكتب أسماؤهم.

*** ثورة 14 تموز 1958، ثورة وطنية عراقية قادها الضباط الأحرار" بقيادة عبد الكريم قاسم"، أسقطت النظام الملكي، وأعلنت الجمهورية، وفتحت آفاق التحرر الوطني الديمقراطي في العراق.**

كان يعلم أن الانتفاضة لا تصنعها الكلمات، بل تُولد من رحم الصبر، ومن البناء الصامت، ومن الإيمان بأن الإنسان هو قلب الفكرة، لا أداتها فقط.

في ليلة الرابع عشر من تموز، لم يكن يهتف في الميادين، بل جلس في غرفة بسيطة مع رفيقه جمال الحيدري، يراجع تفاصيل البيان الأول للثورة. لم تكن الورقة مجرد حبر، بل وعدٌ مكتوب بدمٍ وتاريخ، يُمهّد عبور شعب من ظلمات الاستعباد إلى فجر جمهوريتهم.

ثم، مع بزوغ الصباح، رآه رفاقه في الشارع، بوجهه المكشوف، بسترةٍ عادية وبنطالٍ لا يُخفي هوية ولا يتنكّر، متحديًا رعب السرّية التي علّمته طقوسها القاسية. قالت نزيهة الدليمي* إنه خاطبها بثقةٍ وهدوء قائلا: **"أرسلتُ برقية باسم اللجنة المركزية مهنئة بانتصار الثورة". ثم أضاف، بصوت لا يخلو من الحكمة المتوجّسة: "لا تكونوا سلبيين، لا ترفعوا شعاراتنا بعد، فالمعركة لم تنتهِ، وهناك قوى أخرى في الشارع"**(ج1 ص 212)

في تلك اللحظة، لم يكن سلام عادل يركب موجة النصر، بل كان يقيس الحلم بمسطرة الواقع، ويزن الكلمات بميزان

*** نزيهة الدليمي(1923-2007) إحدى أبرز رائدات الحركة النسوية في العراق، وتعد أول امرأة تتسلم منصب وزير في تاريخ العراق الحديث، ولها مساهمات كبيرة في مجال الطب وحقوق المرأة والسياسة وغيرها على مدار أكثر من نصف قرن.**

المرحلة، فالقائد الذي يرى أبعد من عينيه، يعرف أن الفرح الذي لا تُمسكه الحكمة سرعان ما يتحوّل إلى كارثة.

ثامنًا: من الجبهة إلى الثورة: الإنسان بوصلته الأسمى

إذا كانت جبهة الاتحاد قد جمعت الأطراف المختلفة على أرضية التحرر، فإن سلام عادل أراد للثورة أن تكون أكثر من حدث، أرادها أن تكون ولادة جديدة للكرامة العراقية، لا مجرد سقوط عرش. لم يسعَ إلى تصفية الحسابات ولا إلى جرّ البلاد إلى مستنقع الصراعات الأيديولوجية. كان ينظر إلى الثورة كفرصة أخيرة للارتقاء بالوطن من فوضى الشعارات إلى نظام يحفظ للإنسان جوهره.

وبين سطور أفعاله، نقرأ لغة لا تخلو من حزن، ذلك الحزن النبيل الذي يسكن قلوب الحكماء، حين يدركون أن الثورة إن لم تُحمَ بالتنظيم، وبالإدراك الأخلاقي العميق، ستضيع بين أيدي الحاقدين.

سلام عادل، في كل ما فعله، لم يكن رجل حزب فحسب، بل تجسيدًا نادرًا لإنسان يربط الفكرة بالحياة، ويجعل من السياسة امتدادًا للعدالة، لا بديلاً عنها.

لم يكن يعدّ للوصول إلى كرسي، بل كان ينسج طريقًا للجماهير كي **تجلس أخيرًا على عرش الوطن.** لقد آمن أن الثورة لا تكون في البيانات، بل في النوايا، وفي القدرة على

كظم الغضب لحظة النصر، كما يُكظم الحزن في لحظة الهزيمة.

تاسعًا: تحليل للجوانب الإنسانية والاجتماعية في قيادته:

1. الضمير الأخلاقي :يتجلى في رفضه للعنف غير المنضبط، وفي حرصه على ألا يتحول الحزب إلى أداة انتقام.

2. الإنصات للناس :سلام عادل كان صوتًا لأولئك الذين لا صوت لهم، يترجم معاناتهم إلى برامج نضال، ويؤمن بقدرتهم على التغيير.

3. القيادة بالتواضع: لم يسعَ إلى مجد شخصي، بل إلى عدالة جماعية. كان يرى في الثورة مسؤولية، لا سلطة.

4. الرؤية العميقة: لم تكن مواقفه ردود فعل وقتية، بل تعبيرًا عن رؤية استراتيجية تحترم الواقع وتطمح لتغييره برؤية أخلاقية.

5. تواضعه الجمّ: لم يكن ليعزو لنفسه فضلَ انتصار، بل كان يقول إن الإنجاز من صنع "الحزب"، من صنع "الرفاق"، حتى لو كان هو من صاغ الخطة ووجّه التنفيذ.

6. حنوّه على الشباب: اهتمامه بالكادر الجديد، تعليمه المبادئ التنظيمية، تكريس ثقافة المحضر والانضباط، كلّها إشارات

إلى قائد يرى في كل رفيق مشروع زعيم، وفي كل شاب بذرة ثورة.

7. **حسّه الإنساني العميق**: تظهر في التفاصيل الصغيرة: في رعايته لعائلته، في استذكاره للمناضلين البسطاء، في انحيازه لعمال الريف والجنود البسطاء، بل حتى في لغة رسائله، التي لم تخنها العاطفة رغم قسوة المرحلة.

عاشرًا: بين السياسة والتاريخ: النهر الذي لا يجف حين تتجلى بصيرة سلام عادل الإستراتيجية في:

1. وقف شامخاً في وجه محاولات اختراق الحزب بالتفرد، وأصرّ على الإبقاء على الروح الجماعية في القيادة.

2. ساهم في ترسيخ حضور الحزب في صفوف الجيش، مؤسساً لتنظيم عسكري داخله، إيماناً منه بأن الطريق إلى التغيير لا يُعبد بالكلام بل بالفعل، لا بالانتظار بل بالاقتحام.

أحد عشر: شخصية تتجاوز الحياة: بين الجرح والكبرياء

المحور الأهم في هذه الصفحات يتعلّق بثورة تموز 1958 ودور الحزب فيها، وما تلاها من مؤامرات ومحاولات شق الصف الوطني. إلا أن ما يبقى طاغياً على هذه التفاصيل، هو سلام عادل الإنسان:

1. **صبره في المحنة،** حكمته في اللحظة العاصفة.

2. **إصراره على وحدة الحزب،** ورفضه الانزلاق إلى الصراعات الشخصية، حتى وهو يرى حوله من يتكالبون على المواقع والمغانم.

3. **وقوفه ضد الفساد الفكري والانحراف التنظيمي،** حتى وهو يعلم أن ذلك سيكلفه حياته، كما حدث لاحقاً في مجزرة قصر النهاية.

في هذه الصفحات، نرى سلام عادل لا كزعيم سياسي فقط، بل كأسطورة إنسانية تُشع من بين السطور. هو القائد الذي سار في دروب النار، لا ليحترق، بل ليضيء الطريق لغيره. هو الذي واجه الاغتيال والتعذيب والنفي، دون أن يتنازل عن مبدئه، أو يشهر سيفًا على خصم أعزل.

الفصل الرابع

حين يتحول الصراع السياسي إلى اختبار أخلاقي: سلام عادل في مواجهة المؤامرات

1. مؤامرة عبد السلام عارف*: نزق الطموح وغطرسة الفرد في مواجهة حلم الجماعة

كان سلام عادل يرى في عبد السلام عارف شخصية قلقة ومتناقضة، تحركها نوازع السلطة أكثر مما تنيرها بصيرة الثورة. ففي اجتماعات الحزب لم يتردد في وصفه بأنه "متعجرف، لا علاقة له بالأوساط التقدمية، ولا يحمل من الوعي إلا حنينًا أهوج إلى وحدة فورية، غير محسوبة العواقب". وكان يؤكد دومًا أن عارف معادٍ للشيوعية بطبعه، مندفع ومتهور، تغلب عليه النزعة الفردية والذاتية إلى أبعد

* ضابط عسكري وسياسي عراقي. وهو أحد قادة ثورة 14 تموز/يوليو 1958 التي أنهت الحكم الملكي في العراق. تولّى منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية في عهد عبد الكريم قاسم، قبل أن ينشب بينهما خلاف أدى إلى عزله وسجنه، تم الإفراج عنه لاحقًا. برز اسمه مجددًا بعد انقلاب 8 شباط 1963 الدموي الذي شارك فيها القوميون والبعثيون، ليختار بعدها رئيسًا للجمهورية.

الحدود. (ج1ص 233)

ولم يكن هذا التقدير وليد اللحظة، بل استند إلى معلومات سابقة حصل عليها الحزب منذ أن انضم عارف إلى اللجنة العليا للضباط الأحرار، حيث اعتُبر – في نظر سلام عادل ورفاقه – أسوأ عناصرها. ومع ذلك، فإن خطورته لم تكن في شخصيته وحدها، بل في المواقع الحساسة التي كان يشغلها داخل الدولة، فهو الرجل الثاني في قيادة النظام، نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، مما جعله مصدر تهديد حقيقي لمشروع الجماعة الثورية وأحلامها.

لكن الملفت في موقف سلام عادل، لم يكن تشخيصه السياسي وحده، بل حرصه العميق على تحصين الحزب من الانجراف في صراع شخصي **.لم ينحدر إلى كراهية، ولا انزلق إلى خطاب التشهير. بل ظلّ ممسكًا بلغة "التحليل لا الانفعال"، مدركًا أن** النضال ليس انتقامًا من الأفراد، بل مواجهة للبُنى الفاسدة.

هو لم يصف عارف بأنه "عدو شخصي"، بل رأى فيه تجسيدًا لتيار مضاد لمشروع العدالة الاجتماعية، وهذا ما جعله يصر على فصل المسألة السياسية عن الشخصنة، وهذا موقف **قلّ أن يُحفظ في خضم الدم والخيانات.**

2. مؤامرة الكيلاني*: حين يُستدعى الشيطان ليخنق الثورة

في خضم الحديث عن مؤامرة الكيلاني (ج1 ص 171–174)، ينقل الكتاب مقطعًا من محاكمة تعكس حجم التواطؤ والدناءة، حين قال الكيلاني: **"سأفعل كل شيء مع الشيطان إن لزم الأمر... حتى نقضي عليهم"**. وفي هذا المشهد المقيت، كان موقف سلام عادل يبرز بمثابة الضدّ النقيّ من هذا الانحطاط الأخلاقي. لم يواجه دعاة الانقلاب بالكراهية وحدها، بل بالثقة في الجماهير. لم يطالب بتصفيات، بل بنشر الوعي. لم يرَ في المؤامرة مناسبة للثأر، بل فرصة جديدة لاختبار صمود الروح الثورية. لقد كانت تلك اللحظة واحدة من المحكّات التي تكشف كيف يكون القائد حاملًا للقضية، لا حارسًا لسلطة. وهو حين أدرك حجم الغدر الذي يُحاك، لم يتراجع إلى السراديب، بل دعا إلى التحشيد الشعبي السلمي والتثقيف الجماهيري.

3. مؤامرة الشواف 1959**: عندما يُرفع السلاح بوجه الشعب

في آذار 1959، تمرّد عبد الوهاب الشواف، ورفع السلاح في

*** رشيد عالي الكيلاني (1892–1965) سياسي وزعيم عراقي بارز، تولى رئاسة الوزراء ثلاث مرات، اشتهر بمناهضته للاحتلال البريطاني، وقيادته حركة 1941 الوطنية، وكان رمزاً للقومية العربية والوطنية العراقية. بعد ثورة تموز، وأصبح محورًا لتجمع القوى الرجعية والإقطاعية والقومية المتضررة من الثورة.**

**** عبد الوهاب الشواف (1916–1959) ضابط عراقي وقائد لواء الموصل، اشتهر بمحاولته الانقلابية ضد عبد الكريم قاسم في آذار 1959، التي عُرفت بمؤامرة الشواف، وانتهت بمقتله بعد يوم واحد.**

الموصل بإيعاز ودعم من قوى خارجية. وقد سجّل الكتاب (ج1 ص 246–261) أن تلك المؤامرة لم تكن سوى حلقة من سلسلة التآمر الاستعماري لإجهاض الجمهورية. وحين سُئل سلام عادل عن هذه المؤامرة في مقابلة صحفية، أجاب: **"مؤامرة الخائن الشواف كانت حلقة من سلسلة المؤامرات الاستعمارية، لكنها فشلت لأن ثورة 14 تموز جاءت ساحقة، مدعومة بجماهير الشعب منذ لحظاتها الأولى"**.

هذه العبارة ليست تحليلًا سياسيًا فقط، بل **صيغة وجدانية لنُبل الإيمان بالشعب .**لقد أدرك أن الدبابات قد تخرس الأصوات مؤقتًا، لكن الجماهير حين تنهض، تُخرس الدبابات ذاتها. كان يرى في خيانة الشواف **محاولة اغتيال للإنسان العراقي قبل الجمهورية.**

4. الاختلاف مع عبد الكريم قاسم*: حين يلتقي الحذر بالحلم

يُظهر التباين بين سلام عادل والزعيم عبد الكريم قاسم طبيعة الخلافات الفكرية والسياسية في أعقاب ثورة 14 تموز1958، إذ لم يكن الخلاف بينهما صراعًا على السلطة أو تنازعًا على مكاسب، بل تعبيرًا عن رؤيتين مختلفتين لطبيعة المرحلة التاريخية. فقد مال قاسم إلى الانفراد بالقرار السياسي خشيةً

*** عبد الكريم قاسم (1914-1963) هو ضابط عسكري ورئيس وزراء العراق بعد ثورة 14 تموز 1958 التي أنهت النظام الملكي. تميز بحكمه الذي شهد إصلاحات اجتماعية ووطنية لكنه واجه معارضة أدت إلى سقوطه في انقلاب 1963 .**

من تعدد القوى الحزبية وتباين ولاءاتها، بينما رأى سلام عادل أن التعددية لا تمثل تهديدًا لوحدة القرار الوطني، بل شرطًا لازمًا لبناء دولة مؤسسات ديمقراطية مستقرة.

يُبرز موقف سلام عادل جانبًا إنسانيًا وأخلاقيًا لافتًا، إذ رفض منطق الإقصاء والعزل، مؤكدًا أن القرار الوطني لا يُبنى على احتكار سلطة فردية، مهما كانت نواياها، وإنما على الشراكة والاعتراف المتبادل بين القوى السياسية والاجتماعية. فالانفراد، بحسب رؤيته، يقود بالضرورة إلى عزلةٍ سياسية تفضي لاحقًا إلى الاستبداد، حتى وإن ارتدى ثوبًا مدنيًا أو عسكريًا. وقد صاغ هذه الرؤية في وثيقة داخلية عُرفت لاحقًا باسم البرنامج المرحلي (ج1 ص 213–220)، قدّم فيها تصورًا متبصرًا لدولة مدنية ديمقراطية، تقطع مع إرث الإقطاع السياسي والاجتماعي، وتحدّ من هيمنة المؤسسة العسكرية، وتؤسس لعراق متعدّد القوميات، عادل في توزيع الحقوق، قائم على حرية الرأي والتعبير.

ومن الناحية الإنسانية، لم يكن موقف سلام عادل رد فعل انفعالي أو خصومة شخصية تجاه عبد الكريم قاسم، بل تعبيرًا عن التزام مبدئي بضرورة ترميم العلاقة بين السلطة والجماهير. فالحزب، في تصوره، لم يكن أداة للضغط ولا وسيلة للمزايدة السياسية، وإنما "مرآة" صافية لتطلعات الشعب. ولعل أكثر ما يكشف عن نضجه الإنساني والسياسي هو ما عُرف بـ „العتب النبيل"، حين وجّه مذكرة هادئة إلى

قاسم، خالية من التهجم ومشحونة بروح المسؤولية، عارضًا نقده بوصفه شريكًا في الوطن لا خصمًا في الميدان.

إن هذا الموقف يعكس عمقًا إنسانيًا يتجاوز الحسابات السياسية المباشرة، حيث آثر سلام عادل الحفاظ على أفق مشترك للعمل الوطني، بدل الانزلاق إلى منطق القطيعة والتشهير. وهكذا يتجلى البعد الأخلاقي في شخصيته، بوصفه قائدًا يرى السياسة امتدادًا للقيم الإنسانية في خدمة الجماهير، لا مجرد أداة للصراع على السلطة.

لقد التقى في تلك اللحظة حذرُ الحكيم مع حلم المناضل، ليصوغ موقفًا لا يُنسى: موقفًا لا يطعن ولا يُهادن، لا يُنافق ولا يُخاصم، بل يؤمن أن تصويب المسار لا يكون بتكسير الجسور، بل ببنائها على أساس الاحترام والوضوح.

5. الأبعاد الإنسانية والاجتماعية في شخصية سلام عادل أثناء العاصفة

في مواجهته لتلك المؤامرات، لم يتخذ سلام عادل دور "القائد المتسلط" أو "المنقذ البطولي"، بل ظلّ وفيًا لصورة المناضل الأخلاقي، الذي يعتبر النصر الحقيقي هو حماية الناس، وكرامتهم، وأحلامهم، لا كسب المواقع.

6. كان سلام إنسانًا أكثر من كونه زعيمًا

- حين استُفزّ لم ينتقم.
- حين خُذل لم ييأس.
- حين طُعن، لم يردّ الطعنة، بل سلّ سلاح الوعي الجماهيري.

لقد خاض سلام عادل صراعًا ثلاثيًا مع الغدر، دون أن يفقد إنسانيته. وكأنما أراد أن يقول للعراق كله":**نحن لا ننتصر لأننا نكره أعداءنا، بل لأننا نحب شعبنا أكثر**.

الفصل الخامس

بين السطور المشتعلة

قراءة في مواقف سلام عادل من وثائق الجزء الأول من الكتاب

في الصفحات الاخيرة من الجزء الأول لكتاب *"سلام عادل: سيرة مناضل"*، لا نقرأ مجرد وثائق سياسية مجرّدة أو بيانات حزبية جامدة، بل نصغي، إن أنصتنا جيدًا، إلى خفقان قلب رجلٍ حمل وطنًا بأكمله على كتفيه، دون أن يتذمّر أو يهادن، رجلٍ لم يفصل يوماً بين مبدئيته الثورية وشغفه الإنساني، ولم يكتب كلمة إلا وكانت محفوفة بنبضات شعبه ومعاناته.

اولًا: وثائق تُكتب بالدم: ملخص لموقف سلام عادل من الاستعمار والحرب

في "وثيقة جبهة الكفاح الوطني ضد الاستعمار والحرب 1954" (ج1 ص 263)، نلمح رجلًا لم يكن يرى في الاستعمار خصمًا سياسيًا فحسب، بل جريمة أخلاقية تطعن في كرامة

الإنسان العراقي. تنبض هذه الوثيقة بروح دفاعية سامية، لا عن حدود مرسومة على الخرائط، بل عن الإنسان المغبون الذي يُسحق تحت سنابك الاحتلال والتحالفات المشبوهة.

سلام عادل لا يصرخ في هذه الوثيقة؛ إنه يناشد، يحاجج، ينير. إنسانيته تطلّ من بين السطور **حين يُصرّ على توسيع الجبهة** لتشمل مختلف القوى الوطنية، في رغبة واضحة لتوحيد العراقيين لا خلف الشعارات، بل خلف المصير المشترك.

ثانيًا: تأملات في الانكسار: صمت الجبهة وانهيار التحالفات

يُظهر سلام عادل، في **تناوله لمسألة توقف عمل الجبهة الانتخابية** (ج1، ص269) وما تلاها من انتخابات 1954 (ج1 ص272)، شخصية المثقف الانساني لا السياسي التقليدي. فهو لا يكتفي برصد الخسارة كواقعة سياسية عابرة، بل يتعاطى معها باعتبارها عرضًا لأزمة بنيوية تتطلب تشريحًا صريحًا ومساءلة جذرية. إن هذه الصفحات ليست مجرد وثائق حزبية لتقييم أداء انتخابي، وإنما تبدو أقرب إلى اعترافات نقدية واعتبارات فكرية تمزج بين الصرامة في النقد والمرارة في الصدق.

في هذا السياق، يتجلّى وعيه الثوري المتواضع؛ فلا يبحث عن تبريرات أو شماعات للفشل، بل يتوجه نحو مقاربة إصلاحية تُعلي شأن المراجعة والوحدة، وتستشرف المستقبل

بدل اجترار الماضي، واضعًا نصب عينيه أن النقد ليس غاية في ذاته، بل وسيلة لصيانة الحركة وتحصينها.

ثالثًا: بيان ثورة تموز: لهجة رجل على موعد مع القدر

يكتب سلام عادل في بيان الحزب الصادر يوم ثورة 14 تموز:**"إن مهمتنا الكبرى الآن أن نصون وحدة الشعب، وأن نقطع الطريق على مؤامرات الاستعمار وأذنابه، وأن نحافظ على المنجزات فلا تُسرق من بين أيدينا.. "** (ج1 ص285)

هذه الكلمات تكشف نبرة الأب الحريص أكثر من نبرة القائد المنتشي. فبينما يحتفل الجميع بفجر الجمهورية الوليد، كان هو يتطلع إلى المخاطر الكامنة، ويذكّر بالواجب قبل الغنيمة، وبالمسؤولية قبل الانتصار. إنها لغة مثقف عضوي يربط لحظة الثورة بمستقبلها، لا بماضيها فقط؛ لغة تحذّر من الغفلة أكثر مما تهتف بالنشوة.

رابعًا: عن الشواف والمؤامرة: الحذر النبيل

في حديثه إلى جريدة اتحاد الشعب حول مؤامرة الشواف 1959 (ج1، ص287)، لا يظهر سلام عادل كخصمٍ منتصر أو محققٍ متعقب، بل كطبيب سياسي يشخّص داء الخيانة والانقلاب. يقول: **"إن ما جرى في الموصل ليس إلا جريمة كبرى ضد الشعب والثورة، ارتكبها الاستعمار وأذنابه. لكننا نُفرّق بين من أُغوي أو خُدع، وبين من باع نفسه للعدو. فالأول نعمل**

على استعادته إلى صفوف الشعب، أما الثاني فسيبقى منبوذًا في ضمير الأمة" (ج1، ص287)

هذه الكلمات تكشف ملامح "سلام الإنسان" أكثر من "سلام المؤدلج": رجل يُدين الجريمة لا الأشخاص، يصارع الفكرة لا الأفراد. لغته هنا لا تنزلق إلى التخوين المطلق أو التشفي، بل تحمل حزنًا عميقًا على ما آل إليه بعض أبناء الوطن، وإدراكًا بليغًا لتعقيدات النفس العراقية في لحظة الاضطراب الوطني.

خامسًا: ضد القومية التصفوية: العدل لا الغلبة

في الصفحات (ج1 ص 295–340)، جاء رد سلام عادل على ما سُمّي بـ "المفاهيم البرجوازية القومية" في إطار نقدٍ سياسي وتنظيمي عميق. فقد اعتبر أنّ هذه المفاهيم تعكس توجهاً قومياً برجوازياً يبتعد عن خط النضال الطبقي والنهج الماركسي، ورأى في حل منظمات الحزب في كردستان خطوةً انتهازية تصفوية، تهدد وحدة الحزب ودوره التاريخي. مؤكدًا أنّ البارتي (الحزب الديمقراطي الكردستاني) * ليس حزباً ماركسياً، بل حزبًا يعبر عن مصالح برجوازية قومية محدودة، وأن الرهان عليه بديلًا عن تنظيم الشيوعيين الأكراد خطأ استراتيجي. ركّز أيضاً على أنّ جوهر النضال يجب أن يبقى مرتبطاً بالعمال والفلاحين والكادحين، باعتبارهم القوة

*** الحزب الديمقراطي الكردستاني تأسس عام 1946 بقيادة مصطفى بارزاني، ويناضل لتحقيق حقوق الأكراد في العراق، ويطالب بالفيدرالية والديمقراطية والحكم الذاتي.**

الاجتماعية القادرة على تحقيق التغيير. ومن الناحية الإنسانية، حمل خطابه وعياً عميقاً بمعاناة الفئات الشعبية، إذ وضع معيار تقييمه للخط السياسي في مدى ارتباطه بآمال الناس البسطاء في التحرر والعدالة الاجتماعية، رافضاً النزعات الانعزالية أو التوفيقية التي تهمّش تضحياتهم وتعرّض مصيرهم للخطر.

سادسًا: ريف العراق: وجهة نضالنا1957. (ج1 ص 345 وما بعدها)

في كراس **"وجهة نضالنا في الريف "**الذي كتبه سلام عادل أواخر 1962، ضمن تحضيرات المؤتمر الثاني للحزب.

يضع الريف في قلب الإستراتيجية الثورية، مؤكداً أن جوهر العمل هو بين **العمال الزراعيين وفقراء الفلاحين،** وقيادة نضالاتهم وتجميعهم حول الحزب الشيوعي. شدد على أن الإصلاح الزراعي الجذري هو المدخل لتثبيت الاستقلال الوطني وتعميق الديمقراطية، وأن تحالف العمال والفلاحين يشكل الركيزة الأساسية لأي تحول اجتماعي.

الجوانب الإنسانية واضحة في نقده لاستغلال الإقطاعيين وظلم السلطات، حيث طالب بـ **إلغاء السخرة، ووقف الإهانات، واحترام كرامة الفلاحين، ومنحهم حق التنظيم الديمقراطي** .كما ركّز على ضرورة الاستماع إلى مطالبهم

اليومية البسيطة كحق الأرض، وتحريرهم من الاستغلال، وإشراكهم في صياغة مستقبل البلاد.

بهذا الطرح، جمع سلام عادل بين الصرامة النظرية والوعي العميق بمآسي الريف، مقدماً صورة نضالية وإنسانية للفلاحين باعتبارهم قوة حيّة في معركة الحرية والعدالة.

إنه هنا يُعيد توزيع الضوء على الأطراف، موقنًا أن الثورة لا تُصنع من فوق، بل من عمق التراب.

هذه الوثائق لا تُعتبر أوراق حزبية محفوظة في أرشيف، بل هي مرآة كتبت بضمير رجل لم يساوم على مبادئه، ولم يفقد بوصلته الإنسانية في متاهات العمل السري والنضال السياسي.

إن من يقرأ هذه الصفحات بعين الأدب وقلب التاريخ، لا يخرج منها إلا وقد انحنى إجلالًا لرجلٍ كانت قضيته هي الإنسان... كل إنسان.

سلام عادل لم يكن بوقًا أيديولوجيًا، بل شاعرًا بالفطرة في خطابه، وفيلسوفًا في رؤاه، ومقاتلًا في ساحات النضال، وأبًا عطوفًا على أبناء العراق كافة.

لقد كتب سلام عادل لنا هذه الوثائق لا بالحبر، بل بالنار والدمع. وفي كل سطر من سطورها، كان يزرع فينا بذور وطنٍ أجمل، وإن لم يحصد ثماره، فقد علمنا كيف نرعاه.

الجزء الثاني

اختزال بلاغة الفداء

مقدمة الجزء الثاني

في دروب النضال القاسية، حيث تتشابك خيوط الألم بالأمل، وتغدو الحقيقة نارًا تحرق الزيف، ومرآةً تفضح الخداع، يبرز من بين رماد القهر رجالٌ لا تشبههم العصور، ولا تسعهم كتب السير، فيكونون فصلًا نادرًا من التاريخ، وضميرًا حيًّا للأمة.

هكذا كان **سلام عادل**، تجسيدًا نادرًا لنموذج *المناضل الإنسان*، الذي اتّحد فيه الفكر بالشجاعة، والإيمان بالتغيير بصبر العاشق، والعقل النابه بالقلب النقي. في ظل صراعات السياسة وتموجات الأحداث، ظل وفيًّا لمبادئه، مستمسكًا بحق الجماهير في الحرية والعدالة والكرامة.

في هذه الوقفة، التي تتخذ من كتاب " سلام عادل ـ سيرة مناضل الجزء الثاني" منطلقًا، نُطلّ على مرحلة مفصلية من التاريخ العراقي الحديث تبدأ بعد ثورة تموز 1958، نُلامس

عبرها الأعماق المعتمة للعبة السلطة، والتقاطعات المتشابكة بين الآمال الثورية ومصائد الانحراف، بين الحلم الوطني وتكالب المصالح الضيقة.

غير أن غاية هذا العمل لا تقتصر على تأريخ الوقائع السياسية فحسب، بل تتطلع إلى الغوص في جوهر **التجربة الإنسانية** لهذا الرجل الاستثنائي. كيف كان سلام عادل ينظر إلى العالم؟ ما نوع الصراع الداخلي الذي خاضه وهو يحاول الموازنة بين الإخلاص الحزبي واليقظة الوطنية؟ ما الذي جعله يتقدم الصفوف دائمًا، رافضًا الانحناء، ومصرًّا على خوض المعركة حتى الرمق الأخير؟

سنقرأ في هذه الصفحات عن مواقف لا تُنسى، وعذابات تُروى لأول مرة، وعن قرارات صيغت بدم القلب، لا بدهاء السياسيين. سنتأمل في خطاباته، رسائله، لقاءاته المصيرية، وتحليلاته التي استشرفت مستقبل البلاد والعباد، وكيف رفض سلام عادل أن يكون شاهد زور على انحراف الثورة أو متواطئًا مع سياسة إقصاء الرفاق وتكميم الجماهير.

هذا **البحث الإنساني** في سيرة رجلٍ أدرك منذ البدء أن النضال طريق محفوف بالعذابات، وأن من يخوضه بضمير حيّ سيدفع ثمنًا غاليًا من جسده وراحته ووجوده كله، ومع ذلك مضى، لأن ما كان يُراهن عليه لم يكن سلطةً أو مجدًا شخصيًا، بل وعدًا قطعَه للأرض والناس والتاريخ.

سلام عادل ليس سيرة تُقرأ، بل رسالة تتوارث، وموقف يُستلهم، وإننا إذ نقف على عتبة هذا المشروع، إنما نأمل أن نُعيد له بعضًا من الاعتبار، لا بالتأبين، بل بالفهم، لا بالتمجيد، بل بالتأمل العميق في جدلية الفكر والممارسة، الإنسان والمبدأ، النضال والخذلان.

سلامٌ عليك، أيها العادل في زمن الظلم، أيها الشجاع في حضرة الخوف، أيها الباقي رغم الغياب.

الفصل الأول

بين السياسة والإنسان: سلام عادل في وجه العاصفة

ما ترويه الصفحات الأولى في الجزء الثاني للكتاب من احداث ما بعد المؤامرات الثلاثة، ليس مجرد صراع حزبي بين الشيوعيين والسلطة، ولا خلافًا آيديولوجيًا بين "سلام عادل" وعبد الكريم قاسم، بل هو انكشاف للمأساة الكبرى التي طالما أنهكت جسد العراق: مأساة التردد في اتخاذ القرار، والتضحية بالحلفاء، والخوف من الجماهير إذا ما وعَت قوتها.

في كل سطر نلمس ذلك التناقض المرير: بين **زعيم الثورة (قاسم) يشيطن العمل الحزبي، و"سلام عادل" يصر على الحوار، وعلى إشراك الحزب في بناء الجمهورية لا في تقويضها.**

سلام، كما تكشفه تلك السجالات العاصفة، لم يكن سياسي يبحث عن حصة في الحكم، بل رجل يرى **في الحياة**

الحزبية جوهر الديمقراطية، وفي تحشيد الجماهير درعًا للثورة. كان يدرك أن ما يُراد للحزب الشيوعي هو الإقصاء والتجويف، ومع ذلك ينهض لا كمن يقاتل من أجل حزب، بل كمن يحرس فكرة الحرية من خيانة السلطة لها.

اولًا ـ البعد الإنساني: في صمت الألم وغضب الأمل

ربما لا يقول النص صراحة، لكن بين السطور نقرأ وجعًا مرًا: سلام عادل ليس غاضبًا لأنه حُرِم من السلطة، **بل لأنه خُدِع في "الرفاق".** أن يُترك وحيدًا في وجه المؤامرة، أن يُنقل له موقف قاسم بغير حقيقته ومشوّهًا على لسان **عامر عبد الله***، أن يُخدع بوعود التعاون معهم... كل هذا ليس مجرد أحداث سياسية، بل جراح في الروح، جراح في صدق الإيمان بالرفاق، في جدوى التضحية، وفي أخلاق الثورة.

عن هذا الموضوع قال هادي هاشم في محضر 13 /1962/9: **"وعلى سبيل المثال اذكر، ان محمد (عامر عبد الله) كان لفترة طويلة صلتنا بالسلطة وكنا نشعر بأنه لا ينقل للسلطة ولا إلى الحزب المسائل بأمانة بمعزل عن ذاتيته. لذا قرر المكتب السياسي ان يقوم بالاتصالات مع عبد الكريم قاسم، أكثر من رفيق واحد، وللحقيقة، أقول انه عندما تمت أول مقابلة بين سلام عادل وقاسم، قال سلام عادل ان قاسم له نوايا سيئة ضد الديمقراطية وضد الحزب، في حين ان عامر**

---

* عامر عبد الله (1924-2004) مفكر ومناضل شيوعي عراقي، تولّى مناصب بارزة بالحزب الشيوعي، وناضل دفاعاً عن الفقراء، توفي في لندن.

عبد الله كان ينقل إلينا دائماً ان قاسم أحسن صديق لنا وانه سيمضي معنا إلى النهاية، وانه يفكر دائماً انه سيحقق الديمقراطية الشعبية خلال عامين على الأكثر. ولكن بعد مقابلة سلام عادل، بدأنا بدالًا من تفسير المسائل السيئة في تصريحات قاسم على إنها لمجرد ترضية وتطمين الرجعية وليس ورائها نوايا سيئة كما كنا نعلل سابقاً، أقول بدأنا ننظر بحساسية إلى تصريحات قاسم ونفكر بما ورائها من خطط ونوايا". (ج2 ص 13 و14).

نقرأ في هذه الصفحات رجلاً يتوجع بصمت حين يخونه الحلفاء، ويغضب بشرف حين يُداس على كرامة الحزب، ويصرخ بلا صوت حين يرى زيف الخطاب الثوري.

تكشف هذه الصفحات من الكتاب عن **لحظة الانكسار الأولى** في مسيرة الحزب الشيوعي بعد ثورة تموز 1958، اللحظة التي قررت فيها السلطة، ممثلة بعبد الكريم قاسم، أن **"الأحزاب رجس"، وأن الجماهير لا تحتاج إلى تنظيم بل إلى زعيم أوحد*.**

وتجلّى الموقف البطولي لسلام عادل في تمسّكه **بـ "الحقيقة"** لا بالمواقع، وفي رفضه التجميد والانحناء لعاصفة التهميش.

*** في خطاب ألقاه عبد الكريم قاسم مساء يوم 30 نيسان 1959 بمناسبة الاحتفال بعيد العمال العالمي، بحضور ممثلي العمال. وصف فيه الحياة الحزبية والأحزاب بأنها: " رجس من عمل الشيطان" (ج 2 ص 34 - 36)**

لكنّ الحزب نفسه لم يكن على قلب رجل واحد!

وتأتي هذه الصفحات لتقدّم نقدًا داخليًا جريئًا، يظهر صراعات القيادة، وتلك الخطايا التكتيكية التي مهدت للكارثة الكبرى لاحقًا. في ذلك، يتحول الكتاب من سجل توثيقي إلى مرآة للخيبات الموصولة، ولحكمة نضجت في أتون النار. وهنا تكمن أهمية هذه الصفحات بكونها تُعرّي لحظة الافتراق بين ما ينبغي أن تكون عليه الثورة وما آلت إليه، بين القيم والمصالح، بين الميثاق والخيانة. وسلام عادل في هذا السياق لم يكن مجرد ضحية ولا نبيًا منزّهًا، بل مناضلًا يرى أبعد مما يراه الزمن، فيدفع ثمن بصيرته عزلةً وخيانة ودمًا.

هذه الصفحات تشهد وتقول لنا أيضًا: **لم يُقتل سلام عادل على يد البعث فقط، بل مات مراتٍ ومرات قبلها في صمت رفاقه، في تردد حزبه، في جمود حليفٍ أعماه الغرور.**

ثانيًا: دمعة التاريخ على كتف الثورة

ما بين الصفحات نقرأ تاريخًا لا يرويه المنتصرون، بل تُرويه دمعة رجل يقف وسط الرماد محاولًا أن ينتشل شعلة الحقيقة من بين الركام. سلام عادل، في هذه الصفحات، هو: ذلك الرفيق الذي لم يرضَ بأن يتحوّل الحزب إلى ديكور، أو أن تتحول الثورة إلى زينة لكرسي الحاكم. كان يحمل في قلبه جمهورية حلم بها الفلاح والعامل، **فإذا بها تُداس بأقدام**

المؤامرة. في وطنٍ صار فيه الحليف خائنًا، والثورة مقصلةً، والحزب بيتًا مُحترقًا تُشعل فيه النيران من الداخل.

ثالثًا: سلام عادل بين "الكتلة اليمينية" والانقضاض الداخلي: حين ينهار البيت من داخله

تُطالعنا هذه الصفحات بكشف بالغ الأهمية عن الخطر الذي لم يأتِ من السلطة وحدها، بل من داخل الحزب ذاته. تظهر "الكتلة الانتهازية الاستسلامية" كقنبلة مزروعة في قلب الجسد الحزبي، و"سلام عادل" في مواجهتها ليس فقط بوصفه سكرتيرًا عامًا، بل كضميرٍ جريح يرى انكسار الفكرة بيد من حملوها.
في وصف المواجهة مع هذه الكتلة، يَبرز سلام عادل بوصفه قائدًا لا يساوم على المبادئ، لكنه أيضًا رجلٌ تتنازعه الشكوك والخذلان والتعب النبيل. لم يكن نزاعًا تنظيميًا فحسب، بل معركة أخلاقية حول جوهر الالتزام، حول من باع الحزب تحت الطاولة، ومن لبس قناع الثورية ليخفي في داخله بذور الانهيار.
سلام لم يكن من صنف القادة الذين يتكئون على صلاحياتهم القيادية، بل كان يخوض كل معركة بالموقف، لا بالموقع.

يتألم حين يرى رفاقه وقد صاروا مرسالًا خانعًا لسلطة قاسم، ويفجع حين يسمع الأصوات المرتجفة في الحزب تطالب بالصمت وتبرر الهزيمة بالتكتيك. وقد أشار بنفسه في أحد محاضر الاجتماعات إلى هذا الداء: **"إن اتجاه الحزب لتبني**

معارضة لا مبدئية منذ بدايته فتح بؤرها في المكتب السياسي نفسه... وحالت المعارضة دون تفسير علمي صحيح لتراجع الحزب، وحاولت تركيزها على صراع شخصي... وبذلت محاولات مستمرة لتزكية البرجوازية وسلوكها على حساب خط الحزب" (ج2، ص. 23**)**

الفصل الثاني

أحداث كركوك*: الدم المسكوت عنه... وضمير سلام اليقظ

في صفحات كركوك تتساقط ورقة التوت عن عورة الخطاب السياسي، وتُستدعى الحقيقة المجردة، وقد شُج رأسها بعنف. كان سلام عادل ـ بخلاف من أرادوا التسطيح أو التبرير أو حتى الإنكار ـ صوت الضمير الجريء، لا ليتنصل من المسؤولية، بل ليضع إصبعه على موضع الجرح دون " مواربة: **لا شيء آذى الشيوعيين كما آذتهم أحداث كركوك 1959 " (ج2 ص56)**

جملة قصيرة قالها، ولكنها مشحونة بالأسى النبيل، فيها من الحزن أكثر مما فيها من الاتهام. سلام لا يلجأ إلى لغة الإدانة الفظة، بل يستدعي الحزن كقيمة إنسانية، والاعتراف كخطوة

في تموز/ يوليو 1959 شهدت مدينة كركوك أحداثاً دامية استمرت ثلاثة أيام وأودت بحياة عدد من أبناء القومية التركمانية وغيرها من القوميات الأخرى في المدينة. جاءت هذه الأحداث في أجواء سياسية متوترة، خاصة مع تصاعد الخلافات مع شركات النفط وتلويح الزعيم عبد الكريم قاسم بتقليص امتيازات الشركات الأجنبية. وقد وُجهت آنذاك أصابع الاتهام إلى بعض أعضاء الحزب الشيوعي، بينما بقيت الملابسات الكاملة لتلك الأحداث محلّ نقاش واختلاف بين المؤرخين.

ضرورية للتطهير السياسي والأخلاقي.

نراه يواجه، دون مواربة، "حقيقة التحول المأساوي في علاقة الحزب بالجماهير"، ويدعو إلى التمييز بين "الذنب السياسي" و"الانحراف الأخلاقي"، معتبرًا أن التعتيم على الأخطاء هو شكل من الخيانة الصامتة للمبادئ ذاتها.

سلام لا يُدين فقط من تورطوا بتلك الافعال، بل يُدين البنية التي سمحت بالسكوت عنه، والتبرير له. وهذه نزعة أخلاقية نادرة في سياق سياسي آنذاك، كان يقدّس الولاء الأعمى.

إن أكثر ما يلفت في موقفه من أحداث كركوك، هو حزنه العميق على "تشويه صورة الحزب" أمام الجماهير (ج2 ص57)، وهذا الحزن لم يكن نابعًا من حرص على الصورة، بل من إدراكه أن **الثقة السياسية تُبنى على أخلاق لا على شعارات.**

اولًا: اجتماع اللجنة المركزية في تموز 1959 إثر احداث كركوك: الشجاعة النقدية والنزاهة الثورية

حين اجتمعت اللجنة المركزية، كانت الأجواء مشبعة برائحة الخوف والتردد والتوتر. وهنا تتجلى بطولية، من نوع خاص، لسلام عادل: **بطولة في مواجهة الذات**، لا العدو. تلك البطولة التي لا يملكها إلا من تمرّس في جلد الذات قبل جلد الخصم.

في مداولات الاجتماع، سطع نجم سلام ليس بسلطته التنظيمية، بل بقدرته المذهلة على **تحويل الجرح إلى درس، والفشل إلى محطة لإعادة التقييم**. حين قال بوضوح: **"لقد آن الأوان لنراجع ذواتنا قبل أن نحاسب الآخرين. (**ج2 ص62**)**

كان يزرع بذور ثقافة سياسية جديدة، تتجاوز الخطابة إلى **نقد الذات المنهجي.** لم يدافع عن "المركز" ولم يتخفَّ خلف "الظروف الموضوعية"، بل حمل على كتفيه وزر المرحلة كلها، وتحمل ما لا يقدر عليه إلا الكبار.

وقد رفض التبريرات التي ساقها البعض لتبرئة ساحة الحزب من المسؤولية عن **"العنف غير المنضبط"**، مُصرًا على أن الثورة، لكي تكون ثورة حقيقية، **يجب أن تكون أخلاقية إنسانية قبل أن تكون سياسية**.

في تقييمه لمسار الحزب، كشف عن خلل العلاقة بين المركز والمحيط، بين القيادة والجماهير، ودعا إلى ضرورة استعادة الثقة عبر **"إصلاح داخلي حقيقي"**، وليس عبر خطب تعبوية.

ثانيًا: الجوانب الإنسانية والاجتماعية في شخصية سلام عادل

ما بين السطور، في طريقة حديثه، في ترتيب أولوياته، في طريقته بالتعبير عن الألم والقلق والخطأ، يبرز سلام عادل كإنسان استثنائي، مثقف بمشاعره كما هو بعقله.

1. توجعه من موت الأبرياء، حتى إن لم يكونوا من "جماعته"، هو دليل على أنه لم يتماهَ مع السلطة ليبرر الدم، بل ظل قلبه نابضًا بفكرة العدالة كقيمة تتجاوز المواقف.

2. اهتمامه بأثر القرارات السياسية على النسيج الاجتماعي، وعلى مستقبل البلاد، وليس فقط على مصلحة الحزب الضيقة، يبرهن على أنه كان يرى الوطن أوسع من أي تنظيم.

3. لا دولة شعارات. وكانت عينه دومًا على الجرح الذي يتسع إن تُرك دون اعتراف، ودون تطهير.

إن ما يكشفه هذا الفصل من سيرة سلام عادل لا يقل أهمية عن أي "بطولة ميدانية"، بل لعله أعظم: **بطولة الحقيقة،** في زمن الأكاذيب، **وبطولة الإنسان،** في زمن التجاوز.

لقد ترك لنا سلام نموذجًا نادرًا للقيادة الأخلاقية، التي لا تُخفي ضعفها، بل تعترف به لتتجاوزه. وكان يمكنه، كما فعل كثيرون، أن يتماهى مع السياق، أن يُبرر كالأخرين، أن يصمت، لكنه اختار الطريق الأصعب: أن يظل إنسانًا، حتى وهو في اعلى مراكز القرار.

فلئن خسر الحزب في كركوك **"معركة إعلامية"**، وربما سياسية، فإن سلام عادل ربح ـ هناك ـ **تاج النزاهة الأخلاقية**، وهي تاج لا يمنحه التاريخ إلا للقلائل.

الفصل الثالث

العودة من موسكو: قلبٌ يحترق وجبينٌ لا ينحني

كانت عودة سلام عادل من موسكو في عام 1962، عودة الضمير الثوري إلى ساحةٍ تكدّست فيها الغيوم، وانطفأت فيها بعض المشاعل، وغابت عن دروبها البوصلة. عاد لا كمسافرٍ أنهكه التعب والغربة، بل كمقاتلٍ مزّقته الأسئلة الكبرى، وهو يحمل على كتفيه عبء الحقيقة الثقيلة، وسؤال الوطن المؤلم: **إلى أين نمضي؟**

كان سلام عادل يدرك، بنباهته الفذة وبصيرته التي لا تغفو، أن الانحراف قد تسلل إلى بعض مفاصل الحزب، وأن الأصوات النشاز بدأت تعلو فوق نغمة المبادئ. لم يَعُد أمامه سوى أن يفتح النوافذ ليدخل الهواء النقي، ويزيح ما تراكم من دخان المجاملة التنظيمية والتسويات القاتلة.

عاد من موسكو مشتعلاً **برؤيةٍ نقديةٍ صافية**، تأتلف فيها حرارة الانتماء العقائدي مع برودة العقل المتزن، وكان قلبه

لا يزال نابضًا بهمّ الجماهير، يئنّ تحت وطأة ما رآه من خطرٍ يُحدق بالحزب، لا من الخارج فحسب، بل من داخله أيضًا.

وحين **خطّ قلمه رسالته الشهيرة إلى سكرتارية اللجنة المركزية في** 7 آب 1962، لم يكن يكتب بمداد الحبر فقط، بل بدم القلب وبصوت الضمير. طالب بمراجعة صادقة وجذرية للوثائق والمواقف، لا مساومة فيها، ولا تغليف للخطأ تحت عباءة الشعارات. كانت دعوته كالمشرط بيد طبيب لا يطلب إلا إنقاذ الجسد من التسمم، وإنْ تألم. (ج2 ص 148)

وحين واجه أعاصير الانقسام وغيوم الخديعة، لم يرفع الراية البيضاء، بل رفع راية الوعي، وكتب، وهو في قلب النيران، رسالته إلى اللجنة المركزية في 21 آب، لا كمن يهذي على حافة السقوط، بل كمعلمٍ يزرع في تلاميذه روح الاستقامة. قاوم الانحراف بالتقرير، وردّ على الفوضى بالتنظيم، وأشعل شموع الشفافية في ليلٍ كان تتسرب فيه العتمة إلى سماء الحزب.

كان سلام عادل، في تلك اللحظات، لا يقاتل من أجل موقع في التنظيم، بل من أجل أن يبقى للحياة النضالية معناها الانسأني، وألا يُسرق الحلم من بين أيدي المناضلين الصادقين.

هكذا عاد سلام... وعيناه على الجذور، لا الأغصان، وعلى الروح لا القشرة. عاد ليقول: "لا خلاص إلا بالصدق، ولا نهوض إلا على أنقاض المجاملة والمحاباة"، فمن لا يُواجه

الحقيقة، وإن كانت مرّة، سيكون هو ذاته مرارة التاريخ القادمة.

اولًا: موقفه من الكتلة الانتهازية... بين الحزم الإيديولوجي والنُبل الإنساني

في **محاضر اجتماعات اللجنة المركزية** 1962/8/10، يتجلى موقف سلام عادل الحاسم تجاه الكتلة الانتهازية*، التي تزعمتها شخصيات بارزة مثل عامر عبد الله وآخرين. (ج2 ص 86-89) وقد أصرَّ سلام عادل على أن الانحراف الفكري والتنظيمي لا يُواجه بالتواطؤ، بل بالمحاسبة المبنية على المبادئ. غير أن هذا الحزم لم يكن قاسيًا، بل اتخذ شكلًا إنسانيًا راقيًا؛ حيث أصرّ على أن **يكون النقد ذاتيًا وثوريًا لا عقابيًا**، وأن يكون الهدف من التطهير استعادة نقاء الحزب لا الانتقام من خصومه.

سلام عادل كان يدرك أن الخطر الأكبر ليس في الأفراد فقط، بل في الظلال التي يسمح بها الحزب أن تخيم عليه. ولذلك خاض معركته الفكرية والتنظيمية بأدوات الحوار والوثيقة والتاريخ.

*** أن ما سُمِّي بـ **الكتلة التخريبية أو الكتلة اليمينية* التي وقفت ضد سلام عادل وقراراته داخل الحزب الشيوعي العراقي، كانت تتكون من: عامر عبد الله، زكي خيري بهاء الدين نوري وحسين أبو العيس (ثامر) الذين شكّلوا النواة الأساسية للكتلة، التي اتخذت طابعًا تكتليًا منظّمًا منذ 1959، وسعت إلى إزاحة سلام عادل وتغيير خط الحزب، متهمة إياه بالتشدد "اليساري"، فيما اعتبرهم أنصار عادل أصحاب نهج يميني استسلامي، يصبّ في مصلحة قاسم والبرجوازية.**

ثانيًا: بلاغة السيرة وبلاغة الموقف

تكمن جمالية هذا الجزء من السيرة لا في الأحداث وحدها، بل في لغة الوثائق والمواقف، التي تكشف عن قائد يملك قدرة بلاغية فذة في التعبير عن الأفكار العميقة بعبارات موجزة، لكن حادة كالسيف. ففي محضر 1962/8/21 (ج2 ص. 318)، يؤكد سلام عادل على ضرورة "العودة إلى الشعب"، لا بوصفه شعارًا، بل بوصلة فكرية، يُقاس بها صدق التوجه.

وبين طيّات الرسائل والملاحظات والاجتماعات، تظهر لغة سلام عادل كلغة تُخاطب الضمير لا المصلحة، العقل لا الغريزة، وتلك هي سمة القادة التاريخيين.

ثالثًا: البعد الإنساني في شخصية سلام عادل

سلام عادل لم يكن زعيمًا حزبيًا بالمعنى التقليدي، بل كان ضميرًا أخلاقيًا حيًّا. من يقرأ تفاصيل مواقفه بعد عودته من موسكو، يلمس تعاطفه الإنساني مع الجماهير، حرصه على مستقبل الرفاق، قلقه النبيل من الانقسام، وعزيمته الصلبة في مواجهة التردد والانتهازية.

1. في كل محضر، في كل تقرير، يظهر سلام عادل كإنسانٍ يؤلمه انحراف رفيق، كما يؤلمه جرح الوطن. لم يكن يكره خصومه، بل كان يكره ما

يجعلهم خصومًا: الخيانة، التبرير، الغرور، والهروب من النقد الذاتي.

2. نراه يتألم بصمت حين يُحجم أقرب رفاقه عن المواجهة.
3. نلمح في رسائله المختصرة شوقًا إلى بيت لا يعرف الاستقرار.
4. نسمع في نقده للكتلة، لا صوت القاضي، بل دمعة الأخ الذي يرى بيته يُحرق من الداخل.

سلام عادل لم يكن مجرّد سكرتير لحزب، بل حامل لواء الحقيقة في زمن المساومات.

قراءتي لهذا الجزء من سيرته تفضي بنا إلى إدراك أن ما ميّزه لم يكن صرامته وحدها، بل إنسانيته التي لم تساوم، ولغته التي لم تخن الفكرة.

لقد كان يعرف أن الانهيار لا يبدأ من الخارج، بل من الداخل، وأن الحفاظ على جوهر الحزب لا يكون إلا بتطهيره من الداخل أولاً.

سلام عادل... رجل لم تمنحه الحياة وقتًا كافيًا، لكنه في زمنه القصير ترك أثرًا سيبقى ما بقي الحلم بعراقٍ حرّ وعادل ونقيّ.

الفصل الرابع

قبيل الزلزال، بخطى واعية

في الصفحات التي تمثل ذروة التوتر قبل العاصفة، قبل انقلاب شباط، وقبل اعتقال سلام عادل وتعذيبه حتى الموت. هي صفحات اللحظة الأخيرة التي حاول فيها القائد أن ينقذ الحزب من نفسه قبل أن تنقضّ عليه الكلاب المسعورة.

وفي هذا المشهد، ينهض سلام عادل، لا كزعيم حزب، بل كوجدان أمة: **رجلٌ يقف في وجه الانهيار، لا ليثبت موقفًا، بل ليمنح للتاريخ لحظة نقاء في زمن العهر السياسي.**

في هذه الصفحات من الجزء الثاني من كتاب "سلام عادل: سيرة مناضل"، نقف عند آخر الحافات قبل السقوط العظيم، في منطقة لا تعود فيها السياسة مجرد تنظير، بل تتحوّل إلى مصير، وإلى دم، وإلى مقصلة تقف فوق عنق الحقيقة.

هنا، يدخل القارئ مع سلام عادل مرحلة الذروة المأساوية من حكايته، حيث كل التناقضات بلغت أقصاها، وكل الخيانات نضجت، وكل الأعداء كشروا عن أنيابهم.

أولًا: تحذيرات سلام عادل من السقوط الوشيك

في هذه الصفحات، يُستشَف من وثائق ومحاضر الاجتماعات والتحليلات التنظيمية، أن سلام عادل **كان يدق ناقوس الخطر بشراسة الحكيم لا بذعر العاجز.** فهو كان يرى كل شيء: التخاذل في التنظيم، التغلغل الرجعي، الخلل في العلاقة مع الجيش، وتواطؤ بعض الداخل مع الخصم. كان يعلم أن "الليل طويل"، ولكن كان يؤمن أن قول الحقيقة ضرورة، حتى لو كانت خنجرًا في الخاصرة.

لقد كانت **رؤيته أشبه بنبوءة دامية**، وكأنه كان يرى الجدران تنهار، في حين أن الكثيرين من حوله كانوا يجمّلون الشقوق أو يغضّون عنها الطرف.

ثانيًا: منظمة الحزب في الجيش: حلم السلام يُذبح من الداخل

أحد أخطر ما توثّقه هذه الصفحات هو تخريب تنظيم الحزب في القوات المسلحة، وهي النقطة التي كانت ـ بحسب رؤى سلام ـ **صمّام أمان ضد أي انقلاب محتمل**. لقد حاول أن يُبقي هذه المنظمة يقظة، مدرَّبة، منضبطة، لكن محاولات الكتلة الانتهازية المحمومة لتجميدها أو تفكيكها كانت بمثابة نزع

السلاح من جسد الثورة، ثم تركه للذئاب. (ج2 ص 90، 100، 104، 129)

إنّه جرح سياسي لكنه **يضرب عمقًا إنسانيًا هائلًا:** أن يراك الرفاق تمشي إلى المذبحة ولا يمدّ أحدهم يد النجدة، لا عجزًا، بل تواطؤًا. هنا، لا تُذبح السياسة وحدها، بل **تُذبح الأخوّة الثورية ببطء، بخنجرٍ حزبيّ مشحوذ.**

ثالثًا: اللحظة الأخيرة: شباط الأسود

تنتهي هذه الصفحات عشية **8 شباط 1963**، ذلك اليوم الذي سقط فيه القمر من سماء بغداد. وكل ما سبقه كان أشبه بعزفٍ جنائزيٍّ طويل، تديره أنامل سلام عادل، في محاولة منه لتأجيل النهاية أو لإضفاء معنى عليها.

كان يُحذّر من **"الضربة"**، يُطالب بحشد الجماهير، بإشعال الإضرابات، باليقظة، ولكن بدا كما لو أنه يُخاطب وطنًا فقد السمع. أُحبطت كل دعواته، تردد رفاقه، وخنق الحذر كل نداءاته الأخيرة.

لكن الغريب، والموجع، أن سلام لم يتراجع. بقي حتى النهاية في مركز الإعصار، يكتب، يخطط، يُراسل، يوجّه، وكأن اليقين بالهزيمة لا يُبرّر الهروب، بل يوجب الصمود.

رابعًا: الوجه الإنساني في لحظة الانكسار

ورغم فداحة السياسة ودمويتها، فإن صفحات هذا الفصل تكشف لنا سلام الإنسان:

1. سلام الذي يكتب في الظلمة وهو يعرف أن "العيون" تراقبه.
2. سلام الذي يصرّ على أن يبقى على اتصال برفاقه في التنظيمات الأدنى، لا تعاليًا بل إيمانًا بقدسية القاعدة.
3. سلام الذي **لا يخشى الموت، بل يخشى أن يموت الحزب قبله "هكذا كانت كلماته الأخيرة"**.

الفصل الخامس

الفصل قبل الأخير من الأسطورة

الصفحات ما قبل الأخيرة هي مرآة كربلاء حزبية، سياسية، إنسانية ـ فيها سلام عادل **يقف على بوابة الجلجلة، مصلوبًا على مبادئه، عارفًا أن الطعنة ستأتي لا من العدو وحده، بل من (الرفيق) الذي خانَهُ*** (ج2 ص 180)، **من الصوت والضمير حين دلهم عليه.**

نقف الآن أمام هذه الصفحات من كتاب "سلام عادل: سيرة مناضل – الجزء الثاني"، حيث تخرج الحكاية من إطار التحليل السياسي لتدخل محراب الشهادة. هنا لا نقرأ عن رجل يقاوم الموت، بل عن مناضلٍ يعرف أن الساعة قد دقّت، فيقف لها كما يقف المحاربون في عتبة التاريخ، مشدود الرأس، مشبع الضمير.

---

*هادي هاشم الأعظمي الذي **ذهب بنفسه مستسلماً لانقلابي شباط، عارضاً عليهم خدماته وتعاونه، خاصة وأنه الوحيد الذي يعرف الأوكار السرية والبيوت الحزبية القيادية جميعاً، وراح يرشد أفراد الحرس القومي (القوات التي شكلها الانقلابيون) على بيوت الحزب السرية واحداً واحداً، ومن بينها بيت سلام عادل.**

اولًا: 8 شباط... تاريخ يُكتَب بالدم، لا بالحبر

تبدأ هذه الصفحات بتفاصيل **الانقلاب الأسود في 8 شباط 1963**، ذلك اليوم الذي أُقفلت فيه أبواب الحلم، وفُتحت أبواب السجون والمشانق وقصر النهاية. يظهر سلام عادل وسط هذا الزلزال كمن يحمل روحه في كفّه، ويصر على البقاء في قلب المعركة، لا لأنّه يجهل المصير، بل لأنّه لا يريد أن يخذل التاريخ.

الانقلاب لم يكن مفاجئًا له، فقد حذّر مرارًا من "حلف الرجعية والقومية المتطرفة"، وكتب بألم عن تراجع حلفائه، وانكفاء بعض القيادات، واختراق التنظيم العسكري. لكنه لم يهرب، بل صمد حتى اللحظة الأخيرة، في مقره، بين الرفاق، بين الأوراق المحترقة والهواء المسموم بالخيانة.

ثانيًا: ساعة السقوط: الرفيق الأخير في ساحة المعركة

حين وقعت الواقعة، لم يتوارَ سلام عادل كما فعل كثيرون. لم يتنكّر لتنظيمه ولا تخلّى عن واجبه، بل **أدار الصراع كما يدير قائد معركة خاسرة، لكن بشرف المنتصر.** في وثائق الحزب ورسائل الرفاق نقرأ صورة رجلٍ استطاع ان ينقذ التنظيم من الانهيار، بأروع اشكال الصمود البطولي، وبأنصع صور الكرامة الانسانية.

حين اعتُقل، لم يكن مُتفاجئًا. كان كما في لحظة انتظار جلجامش للموت: يعرف أنه آتٍ، لكنه يريد أن يقول كلمته الأخيرة بكرامة تُفجِّر الضمائر حين قال: **"استعدوا الخيانة كبيرة"** (ج2 ص 182).

ثالثًا: قصر النهاية... صليب العصر الجمهوري

إذا أردنا أن نختبر معدن الرجال، فلننظر إليهم حين يكونون على حافة الموت، في قعر الزنازين، لا سلاح لهم سوى الإيمان، ولا درع لهم إلا المبدأ. هناك، في ظلام قصر النهاية، تجلّت أعظم لحظات سلام عادل، لا كقائدٍ حزبي، بل كإنسان تجلّى في أقصى صوره إشراقًا وسموًا. كانت زنازين التعذيب محرقة للجسد، لكنها كانت منبرًا لروحه التي بقيت تصدح بالحقيقة، تردّ على الصراخ بالصمت، وعلى الشتيمة بالكرامة، وعلى الألم بالثبات.

1. "قصر النهاية"... البداية التي كتبتها الشهادة

منذ اللحظة الأولى لاعتقاله، كما ورد في شهادات عدد من رفيقاته ورفاقه، تعامل سلام عادل مع الألم لا بوصفه خصمًا، بل بوصفه امتحانًا. في شهادة/ **زكية شاكر**، التي وثّقت جحيم قصر النهاية، تصفه قائلة: "كنت معصوبة العينين ومربوطة اليدين، لكنّي ميزت أنين سلام عادل وهو يهمس: **(هنا التجربة، أيها الرفاق)"** (ج1 ص 183).

كان سلام عادل يغنّي للثورة والكرامة بينما تُجلد أضلاعه، ويطلق كلماته كما تُطلق الطيور في سماء الليل، لا لكي يُسمع الجلاد، بل ليُطَمئن الرفاق أن الحقيقة ما زالت حيةً، وأن صوتها لا يُخنق، حتى حين يُعلّق صاحبها من المعصمين.

2. البطولة الهادئة – حين تغدو الأبوة صمتًا، والوطن طفلك الأكبر

في دهاليز العذاب، حيث تُجلد الأرواح قبل الأجساد، وقفت الرفيقة **روضة**، المناضلة الأسيرة، تزحف نحو صدى الصوت الذي لطالما كان بوصلة الثورة في قلب الحزب. همست وهي بالكاد تميّز الظلال خلف العصابة التي تشدّ على عينيها:

"أنا روضة... هل عرفتني يا رفيق؟"

فردّ عليها بصوت خافت، متعب لكنه ثابت كالجبل:**"نعم"**.

ثم همست له، وفي صدرها رجفة لا تشبه الخوف، بل تشبه الشفقة على قلب الأب:

علي.. ابنك معنا هنا في القصر*، هل تريد أن تراه،

*** لم يكن جلادو قصر النهاية يعرفون ان الطفل الصغير "علي" المعتقل مع احدى الرفيقات انه ابن سلام عادل.. لادعائها بانه ابنها خاصة وأن الطفل كان يناديها: ماما.**

وهنا، في لحظة اختزلت مأساة التاريخ كله، هزّ سلام عادل رأسه نفيًا. لم يصرخ، لم يرتبك، لم يسأل عن حال الطفل الذي " كان بعمر العامين، الذي كان قطعة من فؤاده، بل قال: **هسّه وقت علي؟! ... بلّغي الجميع ان استطعتِ... أوقفوا الخيانة. كل من قدّم شيئًا للعدو، يجب أن يتوقف فورًا. ابذلوا كل ما تستطيعون في هذا الاتجاه". (**ج2 ص 183**)**

أي قامة تلك التي وقفت أمام جراحها لتمنع نزيف المبادئ؟ أي قلب ذاك الذي يُطفئ نداء الأبوة كي يُشعل نداء الوطن؟ لم يكن سلام عادل، في تلك اللحظة، رجلًا يرى بطفله البريء ملاذًا أخيرًا في ظلام القهر، بل كان أبًا لفكرة، لشعب، لحزب أراد له أن يبقى حيًا، حتى لو مات هو وحتى لو لم يحظَ بلمحة من عيني صغيره.

لم يفكر بضعفه، ولا بنجاةٍ شخصية، ولا بعينَي طفله البريء في المعتقل الذي كان ينادي غير أمه بـ "ماما" لأن تلك الأم اضطرت للرحيل*... ولم يفكر بأن ذلك الطفل كان ثمرة قلبه، وكان يحبه ويخاف عليه أكثر من نفسه. لكنه في لحظةٍ واحدة، بصوتٍ خافتٍ كصلاة، قدّم الحزب على الدم، والكرامة على الحنان، والموقف على العاطفة. إنها بطولة لا ضجيج فيها... بطولة من يسحق أنينه تحت قدمي المبدأ، ليقول للتاريخ: لم أُخلق لأعيش لطفلي، بل لأصنع له وطنًا لا يُعتقل فيه الآباء.

*** تذكر ثمينة ان الحزب قرر سفرها للدارسة مع اطفالها. الا انها تركت ولدها الرضيع علي لدى احدى العوائل الحزبية لرعايته بسبب صعوبة اصطحابه معهم، لان المقرر اجتيازهم الحدود سيرا على الاقدام. (ج2 ص 130)**

3. الكرامة في حضرة الوحشية – صموده أثناء المواجهة

حين اقتيد إلى غرفة التحقيق، مكبّل الرجلين، معصوب العينين، وعليه آثار التعذيب، طلب فقط كرسياً ليجلس عليه.. لا استرحامًا، بل استقامة في الجلوس قبل المواجهة. وحين نزعوا وثاقه، لم يتوسّل، ولم يطلب شيئًا سوى الماء، فرفضوا. وحين عرض أحدهم عليه سيجارة، رفضها باحتقار، كأنما يقول: أي كرامة تبقى لمن يبيع جسده مقابل رماد؟

كان حديثه مع جلاديه درسًا في العقيدة، وحين قالوا له: **"لماذا قاومت الانقلاب؟"**

أجابهم بثبات:

"لأن الانقلاب فاشي، أسوأ من أي دكتاتورية..." (ج2 ص 190).

4. أنسنة الصمود – لغة القلب وسط الحديد والنار

سلام عادل لم يكن صخرةً صمّاء، بل روحًا حيّة نابضة. كان يسمع أنين رفاقه، يهمس لهم، يواسيهم، يوصيهم، يربطهم بالحياة كما يربطهم بالفكرة. حتى وهو في أشد حالات الإعياء، كان ذا حضور، لا يُقاس بالصوت بل بالأثر، لا يُقاس بالحركة بل بالمغزى.

في كل ما ذُكر من شهادات الرفاق، لم يظهر سلام عادل غاضبًا أو ناقمًا أو متبرمًا، بل متسامٍ على الألم، كأنما كان يرى في الجلاد مأساة إنسانية، لا عدوًا شخصيًا.

5. حين يُصبح الألم بلاغةً، ويغدو الصمت ثورة

سلام عادل، في قصر النهاية، لم يكن أسيرًا يُساق إلى حتفه، بل شهيدًا يسير إلى مجده. من تحت السياط، صعد صوته الإنساني كدعاء العاشق، ومن عمق الزنزانة، خرج نوره هاديًا لرفاقه. لم تُجبره المهانة على الهوان، ولم تُطفئ النيران وهج إيمانه.

إننا لا نقرأ سيرة سلام عادل لنتألم معه، بل لنتطهر من الخوف، ولنؤمن أن البطولة ليست في الألقاب، بل في الثبات، وأن الإنسان، حين يكون حاملًا لفكرة نبيلة، يكون أقوى من الحديد، وأصلب من السجّان.

تأخذنا الصفحات إلى ما بعد الاعتقال، إلى دهاليز **قصر النهاية**، حيث يتحوّل الإنسان إلى رقم، والمناضل إلى جسد مشوّه. لم يقدّم لنا النص وصفًا مباشرًا لتعذيبه، لكن روايات الشهود وشهادات التاريخ حية في خلفية هذه السطور.

تعذيب سلام عادل لم يكن جسديًا فحسب، بل كان خريطة من الصمود والألم، بل كان **محاولة لاغتيال الفكرة التي يمثلها** . أرادوا كسره، لا انتزاع معلومات منه، بل كسر رمزه، تشويه

صورته أمام رفاقه. فقئت عيناه، قطعت أذناه، مزقت عضلات ساقيه، دُقّت أضلاعه، وقُطعت أظافره واطرافه، وشُقّ لسانه، وأُفرغ من الدم، جسده مثخن بالجراح لان آلة قاسية بدائية تنكبت مهمتها الوحشية عليه وحده. لكنه لم يوقّع، لم يصرخ، لم يكتب تراجعًا.

أيّ قلبٍ كان يحمله هذا الرجل، ليتحمّل ما تعجز عنه الجبال؟

أيّ ضمير ذاك الذي لم يساوم حتى في اللحظة التي لا يراك فيها إلا الله؟

الانكسار الأعظم ليس في الجسد، بل حين تتنازل عن مبدئك.

وهنا تكمن المأساة الأعظم: لم يكن الحرس القومي وحدهم من قتلوا سلام عادل، بل **الخذلان الجماعي**، التراجع، التسويات، الصمت، التنكر، أولئك الذين اختاروا النجاة على حساب الرفقة، والحياد على حساب الصدق.

هذه الصفحات تقول ما لا يُقال صراحة: أنّ الرفيق الذي قضى في القصر كان يقف هناك **نيابةً عن الذين خانوا، عن الذين صمتوا، عن الذين فرّوا**.

الفصل السادس:

شهيد لا يموت

يتحول سلام عادل من زعيم حزبي إلى **أسطورة قومية** .لم يعد مجرد سكرتير للحزب، بل **رمزٌ للكرامة المصلوبة في وجه الفاشية الجديدة** .موته لم يُنهِ الفكرة، بل خلّدها.

مات سلام عادل، لكنّ موته كان ولادة للضمير المقاوم، وجرحه كان نافذة دخل منها الهواء النقي إلى جسد الوطن المخنوق.

في الصفحات الختامية من كتاب "سلام عادل: سيرة مناضل – الجزء الثاني"، نلامس ما يشبه الضمير المكتوب، أو اعتراف الذاكرة، حيث يغدو التاريخ نفسه متورطًا بالدموع، ويتحول التوثيق إلى نوع من الصلاة على روح رجلٍ، لم يُغلب، بل غُلِب العالم أمام صموده.

في هذه الفصول، لا نقرأ فقط سيرة سياسية أو نقدًا ذاتيًا، بل نشهد **تفكيكًا للزمن، ووقوفًا وجهاً لوجه أمام المأساة الكاملة** :

ما الذي جعل سلام عادل يُعتقل؟

من خانه؟

من صمت؟

من أدار ظهره؟

أولاً :صورة سلام في مرآة رفاقه بعد الموت

يتناول هذا القسم مراجعات متعددة من قيادات الحزب حول شخصية سلام عادل، ليس من حيث "الزعامة"، بل من حيث **القدرة الأخلاقية والصلابة الإنسانية**.

1. تظهر شهادات عن رفاقه مثل شهادة زكي خيري* (ج3 ص 219) وغيرها تشير إلى **نقاء قلبه**، لا من باب التبجيل، بل لأنه كان يتجنّب الكيد، ويتسامى على التنافس.
2. تظهر كيف كان **دقيقًا في تنظيم العلاقات داخل الحزب، لكنه حنونًا في تعامله مع الأفراد**، ينصت أكثر مما يعلّم، ويتراجع عن رأيه إذا تبيّن له صواب غيره.

في تلك الوثائق، يتكرر القول بأنه لم يكن فقط قائدًا حزبيًا،

زكي خيري (1919–2005) مفكر ومناضل شيوعي عراقي، من مؤسسي الحزب الشيوعي العراقي وقياداته البارزة. عرف بكتاباته الفكرية ونشاطه السياسي ومواقفه المعارضة للأنظمة الاستبدادية، وظل رمزاً للحركة اليسارية العراقية.

بل **أباً وضميرًا ومؤتمنًا على القلوب.** وهنا تشرق إنسانيته، إذ كانت قوته الأخلاقية، لا سلطته الرسمية هي من تضبط

الخلافات.

ثانيًا :في تقييم النقد الذاتي... سلام الذي لم يبرّئ أحدًا من الخيانة

تحمل هذه الصفحات موجة مؤلمة من **النقد الذاتي،** ليس فقط لمنظمة الحزب، بل لسلام عادل نفسه. ونكاد نسمعه يقول: ـ بصوته المتخيَّل ـ إنه ربما وثق أكثر مما يجب، أو سكت حين وجب الصراخ، أو لجأ إلى التهذيب مع من لا يعرفون غير الطعن.

لكن النقطة الأكثر بلاغة في هذه الاعترافات، أنها تجعلنا نرى **الشهيد لا بطلاً فوقيًا، بل إنسانًا أخطأ، وتألم، وشكّ، وتراجع، ولكن لم يخن.**

كان يعرف أن اليأس مثل العدو: إذا لم تبادله الضرب، خنقك. لكنه بقي يراهن على الإصلاح، حتى في لحظاته الأخيرة.

ثالثا: ما لا يقال في الخطابات والمحاضر: سلام عادل والقيادة الأخلاقية في محراب النار

حين نقرأ محاضر اجتماعات المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في تلك المرحلة العاصفة

بين" اب 1962وكانون الثاني 1963"، والتي تطالعنا كوثائق تختم صفحات الكتاب، (ج2 ص 442 - 497) لا يعني أن نتابع سردًا بيروقراطيًا لقرارات سياسية مجردة، بل أن نلج إلى مختبر إنساني تتلاقى فيه الإرادة الحديدية، والشعور العميق بالمسؤولية، مع فطنة سياسية وقلب لا يعرف القسوة.

بين السطور، يتجلّى سلام عادل لا كقائد سياسي فحسب، بل كضمير جمعي ينزف حين تُمتهن كرامة رفيق، وكحكيم يمشي على الحافة بين واجب الحزب وصوت الضمير.

في محاضر هذه الاجتماعات، نرى سلام عادل يمارس مهام "السكرتير الأول"، لكنه لا يتحصّن خلف لقب يُجيز له البطش أو إصدار الأحكام بدم بارد. بل يظهر كمن يحمل الجميع في قلبه، يعظّم العمل الجماعي، ويصبر على من يخطئ دون أن يتخلى عن معايير صارمة من الانضباط الثوري.

في محاضر10، 19،21 آب 1962 (ج2 ص 442)، يتجلى ذلك حين يناقش قضايا الرفاق المختلفين معه، فيختار الحوار بدل الإقصاء، والاحتواء بدل الشطب. بل يذهب إلى أبعد من ذلك، فيحرص على تضمين آراء المعارضين في محاضر الجلسات حتى لا "تُزوّر الذاكرة الجماعية.

هذا ليس مجرد تكتيك حزبي، بل موقف أخلاقي وإنساني متجذر: فالاختلاف في الرأي لا يُعاقَب، بل يُفهَم في:

1- في النزاع... قلبٌ يتكسّر بصمت

بين تفاصيل السجالات داخل المكتب السياسي، نقرأ بصوت خافت نبرة حزنٍ لدى سلام عادل على تحوّل بعض الرفاق إلى جماعات تكتلية، تعارضه لا عن قناعة فكرية بل عن طموح سلطوي.

لكنّه لا يرد بالمثل، بل يعيد تثبيت بوصلته نحو الأفق الجماعي، محاولًا احتواء الأزمة بالفهم لا بالاتهام، وبالتحليل لا بالتجريح. كان يدرك أن الجرح إن تسلّل إلى الروح الحزبية، فإنه سيشوّه صورة الوطن بأكمله.

في محضر 13 أيلول 1962 مثلًا، يُبرز حرصه على مأسسة النقاش وتنقية الحوار من الشخصنة، وهو بذلك يُربّي جيلًا من الشيوعيين على ثقافة الاعتراف والخطأ والتراجع.

2 ـ في الموقف من القضية الكردية: دروس في العدالة والتسامح

تكتنز المداولات حول الحرب في كردستان مواقف إنسانية نبيلة تعكس عمق وعي سلام عادل القومي والأخلاقي. ففي خضم التصعيد العسكري من قِبل الحكومة، لم ينجرف وراء خطاب الدولة، بل ظل يُذكّر رفاقه بضرورة الالتزام بالحل السلمي، وبأن الحقوق القومية الكردية ليست منّة، بل استحقاق تاريخي. (ج2 ص 234- 236)

هذا الموقف المتقدّم لا ينم عن تكتيك سياسي فحسب، بل عن **بصيرة أخلاقية**، ترى في إنصاف الأقليات ميثاقًا إنسانيًا قبل أن يكون بندًا في برنامج سياسي.

3 ـ في حضرة الفقد والخذلان

ما يلفت النظر بشدّة، أن سلام عادل لم يستخدم أبدًا لغة الكراهية أو الشتم ضد خصومه، حتى حين خانوه أو سعوا إلى تحطيمه من الداخل. كان يكتفي بكلمة "كتلة "* (تكررت في ص 90-144) ليصفهم في كل خطاباته في اجتماعات اللجنة المركزية والمكتب السياسي دون أن ينزل إلى مربّع التشهير أو التشفّي، بل في لحظات معيّنة، يُظهر حزنًا على انحدارهم الفكري والسياسي، لا شماتة، كما في قوله عن أحدهم: **"إنه يجرّنا إلى متاهة لا طائل منها، ولكنني لن أتركه للضياع".** (ج2 ص 90-144)

يا لها من عبارة**!** تختصر قلب قائد لا يرى في الانشقاق خيانة فقط، **بل انكسارًا إنسانيًا** يحزّ في الروح.

4 ـ سلام عادل الأب... لا الحزبي المجرد

في الرسائل القليلة التي ضُمّنت بين صفحات الكتاب، ومنها رسالته لزوجته ثمينة ناجي يوسف، نكتشف جانبًا آخر من

*** وصف سلام عادل ما عُرف بـ "كتلة " داخل الحزب الشيوعي العراقي، وهي مجموعة انتقدت قيادة الحزب في أوائل الستينيات، وضمت كلًا من داود الصائغ، وعزيز شريف، وعبد الرحيم شريف، بالإضافة إلى أعضاء آخرين، حيث تم إقصاؤهم لاحقًا بعد عودة سلام عادل لقيادة الحزب.**

شخصيته: الأب، العاشق، والإنسان الذي يربّت على كتف ابنه بكلمات شجن، وسط نيران القمع والمطاردة. (ج2 ص 223)

في إحدى الرسائل يصف صورة ابنه عليّ وهو "يقلّد أصوات الحيوانات وأصوات السيارات ويصفر بيديه كأنه شرطي مرور"، ثم يضيف: "هو مقلوب الصور لكنه مستقيم القلب، وأنا أعيش معه". (ج2 ص 223)

يا لها من صورة! رجل تُطارده أجهزة الدولة، ويقود حزبًا في أخطر مراحله، لكنه لا ينسى أن يروي لزوجته كيف يلعب طفله بأزرار المذياع...او كيف يجلس خلف مقود السيارة كسائق ...هذا هو الفرق بين القادة الحقيقيين وأشباههم.

من يقرأ هذه الصفحات بعين المؤرخ، يدرك أهمية اللحظة السياسية. لكن من يتعمق فيها بعين الانسان، يرى وراء كل بند وملاحظة عاطفة مشبوبه، وحكمة إنسانية، وألم خفيّ.

سلام عادل لم يكن قائدًا صارمًا فحسب، بل كان روحًا حيّة تمشي بين رفاقه، تستمع وتفهم وتصفح، ثم تعود لتكتب التاريخ بالدموع لا بالحبر.

الفصل السابع

في زمن الخيانة، اختار أن يكون إنسانًا

اولًا ـ في سيرة الشهداء الآخرين... سلام عادل ليس وحده

تختم هذه الفصول بملاحق لأسماء الشهداء الذين استشهدوا معه، أو بعده، أو في طريق النضال. وتبرز هذه اللمسة كأنها تقول: **لم يكن الشهيد فردًا، بل فكرة إنسانية، تولّدت، وتشظّت، وارتوت بدماء النبلاء.**

ثانيا ـ خاتمة الختام: الشهادة لا تُختزل في الموت، بل تُقاس بمدى صدق الحياة

سلام عادل، في آخر صفحات الكتاب، لا يبدو ميتًا. بل يبدو صوتًا نقيًّا، يفيض حبًّا لأرضه وأهله، يهمس في ضمائرنا: اجعلوا الدم حياةً، والتضحية وطنًا لا يموت.

إنّ القيمة الأخلاقية لشهادته، كما تسجلها هذه الصفحات، ليست فقط في أنه مات تحت التعذيب، بل **لأنه لم يساوم، ولم ينكسر، ولم يصدر عنه سوى الصمت النبيل.**

لم يكن المسيح وحده مصلوبًا، ففي بغداد كان هناك رجلٌ اسمه سلام... أُقيمت له محكمة بلا قضاة، وجلجلة بلا شهود، وصلب على مبدأ اسمه: الإخلاص.

ثالثا ـ الوثائق الأخيرة: رسائل بين اللهب، ومراجعات على حافة المقصلة

في هذه الصفحات، تُدرج آخر تقارير وكتابات ووصايا سلام عادل، التي كتبها قبيل اعتقاله بأيام. ومنها:

1. **رسالته إلى الخارج الحزبي،** التي شطب فيها اسمه الحقيقي ووقّع بـ "عمار"* (ص 318 - 321) كي لا يُعرّض أحدًا للخطر.
يركز التقرير على مراجعة موقف الحزب إزاء إجراءات حكومة قاسم في أواخر 1961، إذ يشير عمار إلى أن الحزب بالغ في التفاؤل و**" حَمَّل هذه الإجراءات أكثر مما تستحق من مغزى"**، ما قاد إلى قرارات وتوجيهات متسرعة. لكن في المقابل، عكست تلك الفترة بعض النجاحات النضالية، مثل إعادة العمال المفصولين إلى أعمالهم، ووقف الاغتيالات في الموصل، وتنظيم حملات جماهيرية ونقابية واسعة.
يؤكد التقرير أن التذبذب في الموقف الحزبي لم يكن

*** كُتبت الرسالة تحت عنوان. (تقرير الرفيق عمار إلى أعضاء ومرشحي اللجنة المركزية بتاريخ 1962./8/21**

مسألة نظرية فحسب، بل انعكس على الجماهير: **أساءت هذه الإجراءات... إلى يقظة ونضال الحزب، وأدت إلى تعميق البلبلة الفكرية.** ويبرز عمار هنا البعد الإنساني للمعاناة، فالتراجع لم يكن مجرد خط سياسي، بل أثّر في روح المناضلين، وأضعف ثقة القواعد والعمال، وأشعر الكثيرين بالغربة عن حزبهم. في الخاتمة، يحثّ التقرير على استخلاص الدروس من هذه التجربة لتقوية الثقافة الحزبية، وتحويل الأخطاء إلى رافعة تعزز صمود الشيوعيين بوجه المناورات البرجوازية.

البعد الإنساني في التقرير:

ما يلفت في هذا التقرير هو الحسّ الوجداني الذي يتخلله؛ فعمار (سلام عادل) لا يكتب بلغة بيروقراطية جامدة، بل يُدخل معاناة الناس في صلب تحليله. فعندما يقول: **"لقد صرفت هذه الإجراءات الأنظار عن تحقيق مهام ملحة آنذاك، وعن ضرورة حل مشكلة كردستان سلمياً"()**، فهو لا يقدّم نقداً سياسياً فقط، بل يرسم صورة إنسانية لشعبٍ دفع ثمن البلبلة والتردد. كما يتضح من عباراته **"أن الحزب لم يكن كتلة صماء، بل جسداً من لحم ودم، يتأثر بتقلبات الأمل والإحباط، وأن مسؤولية القيادة ليست تقنية، بل أخلاقية ووجودية تجاه المناضلين والجماهير."** (ج2 ص318)

يمكن القول إن تقرير عمار يمثل نموذجاً نادراً في الفكر السياسي العراقي، إذ يجمع بين **النقد الذاتي** و**المسؤولية الأخلاقية**، وبين **التحليل السياسي** و**الإحساس العميق بالإنسان العادي** .فهو ليس مجرد وثيقة حزبية، بل شهادة على صراع الإنسان الشيوعي مع نفسه، ومع واقعه الممزق بين الأمل واليأس، وبين الوفاء للمبادئ وضرورات الواقع.

تقاريره عن انهيار المنظمات في الجيش، وفيها يكتب **بحسّ أبٍ يرى أبناءه يغرقون، ولا يملك إلا الكلمات كأطواق نجاة**. كما ورد في الصفحات (ج2 ص308 - 321) من الكتاب والتي تضم تقارير سلام عادل (الرفيق عمار) ومحاضر المكتب السياسي واللجنة المركزية، التي تناولت هذا المحور وغيره.

2. حول انهيار المنظمات في الجيش

أشار عمار بوضوح إلى أن **التنظيم العسكري كان الحلقة الأضعف**، وقد تعرّض لانهيار شبه كامل نتيجة الأخطاء السابقة، منها التقديرات المبالغ بها لدور الجيش، وترك التنظيم بلا رعاية كافية، وغياب الصلة العضوية بينه وبين الحركة الجماهيرية. قال منتقداً تلك المرحلة: **" إن ترك هذه المسألة الحساسة دون معالجة كان من أكبر أخطائنا."** (ج2 نفس ص)

ظهر في هذا النقد ألم القائد الذي يدرك أن عشرات الضباط الشيوعيين وجدوا أنفسهم معزولين، بلا غطاء حزبي يحميهم، وكأنهم تُركوا في الميدان وحدهم. خلف هذا النقد الصارم، كان ثمة وجع إنساني دفين: وجع ضياع أعمار ونفوس ضباط وجنود آمنوا بأن الحزب هو مرشدهم، ثم وجدوا أنفسهم ضحايا فراغ تنظيمي قاتل.

3. توجيهاته حول **تقويم التجربة بعد الانقلاب** من **1959- 1963** (ج2 ص 308-321) والتي أراد لها أن تُنشر لا كوصية بل كاعتراف للمستقبل. في التقارير اللاحقة،

خاصة بعد انقلاب شباط 1963 الوشيك، قدّم سلام عادل **مراجعة نقدية شاملة** للتجربة. شدد على أن الانقسامات والتكتلات الانتهازية داخل القيادة **"أضعفت يقظة الحزب وأفقدته قدرته على توجيه الجماهير"**، وأن أخطر ما واجهه الحزب لم يكن بطش السلطة وحده، بل **"المعارضة الانتهازية التخريبية "** التي بثّت روح الاستسلام والفوضى.

هنا تتجلى في نبرة (عمار)الإنسانية وهو يتحدث عن الجماهير. فبرغم الانهيارات، كان يرى في كل تظاهرة، في كل عامل يعود إلى عمله، وفي كل دمعة أمّ شهيد، سببًا لمواصلة الطريق. تقييمه لم يكن جردًا

حسابيًا، بل شهادة إنسان عاش الخيبة والخذلان، ورأى كيف يمكن للأمل أن يولد من رماد الخسارة.

4. الخلاصة الإنسانية

بين سطور هذه التقارير، يطلّ سلام عادل لا كأمين عام فقط، بل كإنسان مثقل بآلام رفاقه. حين كتب عن انهيار التنظيم العسكري، كان يتحدث عن ضباط مطاردين وعوائل مفجوعة. وحين قيّم تجربة الانقسامات والانقلابات، كان يوجّه بصره إلى عيون الجماهير الباحثة عن معنى التضحية. النقد عنده لم يكن سجالاً حزبياً بارداً، بل **موقفاً أخلاقياً ـ إنسانياً،** إذ أراد أن يصون الحزب لا بوصفه جهازًا، بل ككائن حيّ نابض بالعرق والدم والدموع.

وفي كل سطر من هذه الوثائق، نقرأ سلام عادل **كقائد يكتب وصيته لا بنبرة النصر، بل من وجع الذين أرادوا الخير ولم يستطيعوه، ومن ألم الذين دافعوا حتى الموت، وهم يعرفون أن الأرض تهتز من تحتهم.**

الفصل الثامن

رسائل سلام عادل إلى ثمينة

في الجزء الأول

نبض القلب وصوت النضال

في زوايا السجن المعتمة، وبين جدران العمل السري الموحشة، ووسط أيام تتناوب فيها لحظات الأمل وثقل الانتظار، كتب سلام عادل رسائله إلى ثمينة. لم تكن تلك الأوراق مجرد مراسلات شخصية، بل شهادات إنسانية نادرة تكشف ملامح رجل عاش حياته على حافة الخطر، ومع ذلك ظل قلبه مفتوحًا للحب، وعينه على الحلم الكبير.

أول الرسائل – الصفحة 38

وقت القيلولة في السجن، حين غفت الأصوات وتراخت العيون، جلس يكتب. كان يستغل تلك الدقائق ليعبر المسافة بين القيود والحرية، بين الزنزانة وبيته البعيد. كتب إليها: **مررتُ بحادث أليم، لكنني بخير. تمسكي بالصبر واعتني بالأطفال، فأنا واثق أنكِ ستكونين قوية كما عهدتكِ.**

لم تكن الكلمات تواسيها فحسب، بل كانت تزرع في قلبها طمأنينة صلبة، وكأن صوته يهمس لها من وراء القضبان: نحن باقون، مهما طال الليل.

رسالة إلى والد ثمينة – الصفحة 43

كتب سلام إلى والدها رسالة تستمد قوتها من صدقها الصارم، ذكّره فيها بخطبته السابقة، وكيف أن الظروف حالت دون إتمام الزواج آنذاك، ليعود اليوم، وهو سجين، مفصول من عمله، يطلب يدها من جديد. لم يقدّم وعودًا براقة ولا صورًا منمّقة، بل قال بوضوح: **لا أملك شيئًا سوى صدقي وإيماني بقضيتي، وأريد شريكة درب لا تهاب الصعاب ولا ترهب الليل الطويل.**

في هذا الموقف، كان سلام يضع أساسًا لرؤية الزواج بوصفه شراكة نضال، لا اتفاقًا اجتماعيًا باردًا.

ودّ مع العائلة – الصفحة 43

حين التقى بوالدها، غمره شعور بالامتنان لذلك القلب الذي منحه الثقة. كان اللقاء ودودًا، امتزج فيه الاحترام بالمحبة، والشعور الأبوي بالالتزام الأخلاقي، ليصبح بداية لعلاقة إنسانية تقوم على التضامن لا على الشك.

دلالات إنسانية عميقة:

تظهر هذه الرسائل القصيرة حجم النبل الكامن في شخصيته: وفاء نادر في قلب المحن، صدق يواجه به الذات والآخرين، رؤية للزواج كشراكة كفاح، وقوة هادئة تمنح الآخرين الأمان وهم في قلب العاصفة.

اغنية يالرايح للحزب خذني. ص -43

تذكر ثمينة في كتابها، انها تدون بعض من تفاصيل حياتهم الشخصية كرد على التقولات التضليلية والتي تتهم الشيوعين زورا باستهتارهم بالتقاليد والقيم الاجتماعية. وانقل ما كتبت.

لم يصدق سلام انه نجا من الاعتقال مرتين، لدى عقد القران ن قبل الحاكم، ومن ثم من قبل السيد.. وكان يقول" لِأعتقل في

أي مكان اخر، اما ان يعتقلوني اثناء عقد قراني فهو فوق طاقتي.. فعندما اعود للسجن مرة أخرى، ويسألني الرفاق اين عثرت عليك الشرطة واعتقلتك بهذه السرعة؟ سيكون من الصعب عليّ جدًا ان أقول لهم بأنني كنت اتزوج، فانهم بلا شك سيقولون: أي هسه وقت زواج؟ ناضل قليلًا ثم تزوج! (والمفارقة هي ان السجناء قد غنوا احتفاء بخروج سلام عادل من السجن اغنية:

يالرايح للحزب خذني

وبنار المعركة ذبني

برگبتي دَين اَريد أُوفي

على أيام المضت مني) *

كانت هذه الاغنية قد غنيت لأول مرة لسلام عادل... ويعلق سلام، سيقول السجناء عليّ في دواخل أنفسهم: يا ضيعة الاغنية بيك يا حسين.. أخرجت لتتزوج حالًا! وكنا نضحك كلما تذكرنا هذه المفارقة."

كتب الشاعر زاهد محمد هذه الاغنية لسلام عادل خصيصًا خين اطلق سراحه.

رسائل سلام عادل إلى ثمينة

في الجزء الثاني

بين قلب العاشق وعقل القائد

مع مرور الزمن، تحوّلت رسائل سلام عادل إلى ثمينة إلى لوحة إنسانية ناطقة، حيث يمتزج فيها الخاص بالعام، والعاطفة الفردية بالقضية الجماعية. كان يكتب من قلب زمن مشحون بالأحداث، من بين الاجتماعات والتقارير والمهمات السرية، ليقتطع لحظة يكتب فيها إلى الحبيبة.

لم يكن الحب عنده مهربًا من المعركة، بل جزءًا منها؛ لم يكن شعورًا يخصه وحده، بل طاقة تشدّه إلى الأمام، وتجعله أكثر ثباتًا في مواجهة الصراع. في رسائله، يذكرها دائمًا بأنها شريكته في الحلم والنضال، وأن صمودها يمده بالقوة.

إيقاع رسائله هادئ، عباراته قصيرة، كأنها أنفاس خاطفة بين اجتماع وآخر. مفرداته المكررة "حبيبتي الغالية"، "العزيزة" تبدو كتعويذات تحفظ جذوة الود من أن تخبو في برد الغياب. ومع ذلك، فإن خلف هذا الحنان يقف وعيٌ عميق بأن الحب الحقيقي ليس رفاهية، بل سند للبقاء في الطريق الشاق.

نصوص من رسائله – (ج2 الصفحات 225 - 242**)**

(عزيزتي
الجحش الذي ترين صورته مقلوبة هو علوْلوْ. وتلاحظين أنه موفور الصحة
والوكاحة (الشقاوة). إنه الان يعيش معي، وعلى وجه الدقة أنا أعيش معه إذا أخذنا بنظر الاعتبار شخصيته البارزة في البيت. ولكي تأخذي فكرة عن ميوله أذكر لك بأنه سريع الملل من ألاعيب الأطفال المعتادة وتدور هواياته التي تأخذ بألبابه السيارة والستيرن والهورن والدرنفيسات والبراغي (مقود السيارة، بوقها، مفكات والمسامير المحززة على التوالي)، مما أضطر أعمامه الى شراء سيارة صغيرة له يركبها ويقلد سَكَنيّةْ السيارات (مساعد السائق) عندما يصيحون "ارجع.. ارجع" ومعها رفعة يد إشارة التوقف. إنه الآن يفهم مفردات

كثيرة من الحاجات البيتية والشخصية ويسمي الأشخاص بأسمائهم المميزة، ومن بينهم "باب" أو "أبويَة" التي يعتبرها ربما اسما لاحد اعمامه! ويمر الآن بالمرحلة "الببغائية" التي هي بالنسبة للأطفال فترة بين مرحلتي "العبودية والإقطاع"، فيردد ما يسمعه من جمل بأسلوب أخاذ، وبالطبع يفهم معاني الكثير منها. يبدو أنه سيقتفي أثر شذى المعروفة باللغوة الزايدة(الهذر). لدينا صورة تجمعكم أنت وكتاكيتك الثالثة. إنه يميز "ماما" في الصورة، وكذلك إيما أي إيمان، و "تعاي" أي شذى، إنه يهتم من الصباح حتى المساء في استقبال أي قادم من أعمامه بهوسة، وفي توديع كل خارج من البيت، وأحيانا توديع القطط أيضا بإشارة توديع من يده وبقوله "باي". ويذهب الى بيت جده كل شهر ونصف أو شهرين ليبقى أسبوع، وهنالك أيضا يرتاح كثيرا وإذا طالت المدة لدينا فإنه يردد "بي بي(الجدة)" و "جدو". الرفيقات في البيت هن أنفسهن يعتنين به كثيراً جداً، وطالما أخجلنني لمزيد العناية. لقد أخذت(التقطت) صورة لعلي في أوائل أيلول1962. (ج2 ص223)

يا لها من صورة! رجل تُطارده أجهزة الدولة، ويقود حزبًا في أخطر مراحله، لكنه لا ينسى أن يروي لزوجته كيف يلعب طفله بأزرار المذياع...او كيف يجلس خلف مقود السيارة كسائق... هذا هو الفرق بين القادة الحقيقيين وأشباههم.

وهناك رسائل أخرى في الكتاب. **(ج2 الصفحات 225 - 242)**

"حبيبتي ثمينة، أكتب إليكِ الآن وقلبي مثقل بالهموم، لكن صورتكِ دائمًا تضيء عتمتي. نحن في مرحلة عصيبة، وكل لحظة أفكر بكِ وبأنكِ شريكتي في الطريق، وأن صمودكِ يمنحني القوة للاستمرار".

"حبيبتي، رغم انشغالي اليوم، رغبتُ أن أكتب لكِ، ولو على عجل، لأقول إنني أفتقدكِ كثيرًا. كلما ازدادت همومي ومسؤولياتي، ازدادت حاجتي إليكِ، إلى دفء قلبكِ وحضوركِ الذي يمنحني القوة. منذ أن فارقتكِ، أشعر أن جزءًا من روحي قد بقي معكِ. تمضي الأيام ثقيلة، لكن أمل اللقاء القريب يخفف وطأتها. تذكّري دائمًا أننا نعمل من أجل قضية واحدة، وأنكِ شريكتي في الحلم والنضال".

تذكر ثمينة في كتابها نص لرسالته، واستلمت رسالة أخرى من سلام كتب لي فيها عن علي:

اعزّائي وموضع اشتياقي الدائم سامية، وشور، وفيرا، (اسم ثمينة واسماء البنات في المدرسة الحزبية).
تحياتي وتمنياتي من القلب، وتهاني بالعيد العظيم الخامس والأربعين (الحزب الشيوعي السوفيتي) لم يكن سهلا عليّ مفارقتكم، ولكن هو الواجب. رجائي ألا يطول الفراق.. علولو

(ابنه علي)، سلوتي فأنا أشم طيبكم من خلاله. إن ملامحه هي حصيلة ملامحكم، إنه يشبه أمه،ويشبه أمونه، ويشبه شذواي. أنا مطمئن لراحتكم وصحتكم. كم أود أن أكون عندكم، على الأقل أيام السبت والآحاد. لا بد أن فيرا قد تقدمت بدروسها وأنها تقرأ الآن بسهولة قصص الأطفال وتفهم جيدا أفلام الكارتون، وكذلك شورا التي أصبحت تلميذة كبيرة مجتهدة. لابد أن شورا ال تنطق الآن العربية، وأن فيرا أسهل عليها أن تتكلم الروسية.

لا بأس سيعيدون تذكر العربية بعد أسبوع من رجوعهم.
عزيزتي. تهاني على نتائج عملك. اعتقد بأن جميع الصعوبات قد ذللت الآن، وأن جوانب العمل أصبحت معتادة، وأنك تقضين راحة طيبة أيام السبت والآحاد والعطل الأخرى مع الصغيرتين. الرسالة التي في ظهر هذه الورقة هي من الوالد. صحة الوالدة والجميع جيدة. التقيت بهم حتى الآن مرتين (الوالد، الوالدة، نزار). حديثنا بالطبع عنك وعن الأطفال. أرجو أن تكتبي لي ولهم. وبالنسبة لي فاذكري مختلف جوانب وضعك وكذلك الأطفال. صحتكم، راحتكم، عملك.

لقد أرسلت لك رسالة وأنا في طريقي الى الوطن. علمت أنها وصلتك. صحتي جيدة ومعتادة وأحسن من ذي قبل. أوقات عملي ونومي أكثر تنظيما. أطمئنك أيضا بأن الشرب منوع. جميع أمورنا تتحسن على أفضل وجه، وباستمرار سنسمعكم أخبارا جيدة، ونحن نطمأن نسمع باستمرار أيضا أخباركم

الجيدة. الجميع الآن مشغولون في التهيئة للاحتفال بالعيد العظيم. (يقصد الاحتفال بذكرى ثورة اكتوبر).

كيف حال حسنوفا، (يقصد الدكتورة نزيهة الدليمي)، كان اسمها الحزبي فاطمة حسن)، فقد تأخر الإخوان في كتابة رسالة لها سنرسلها حال استلامها. آمل أيضا أن تكون قد تذللت صعوباتها. بلّغيها تحياتي الأخوية وأشواقي. وكذلك لجميع الأخوات والإخوان.

طيّاً صورة علولو (علي). إنني الآن أسمع لغوته من الطابق الأرضي. ويداهمني أحيانا في غرفتي ليخرب علي عملي بطلباته وألعابه ولغوته. إن له لغة خاصة تحتاج أحياناً الى مترجم فهو يسمي القندرة (الحذاء) (كوته) والنعال (لغا) ويمسك القلم أحيانا ليكتب رسالة الى ماما وبابا على الجرائد العتيقة. وعندما يقال له إيمان أو شذى فهو يصيح (تعا) أي تعالي.

وعندما أدخل الى البيت يعمل هرج طويلة عريضة ويردد مع التصفيق (جَاء بابا) هكذا بالعربي الفصيح. ويسأل نصا (لعدوين فوزي؟). الأشخاص المفضلون عنده (ماما) و (فوزي). عندما يركب يعجبه أن يتظاهر دائما بأنه هو الذي يسوق السيارة. إنه يضع السويج (المفتاح) في محله المضبوط في أية سيارة مهما كانت جديدة ويمد يده على الگير والستيرن، ثم يدق هورن. وعندما تصل السيارة للبيت يخرج

رأسه من باب السيارة ويصيح (هاي وينكم؟) بلهجة فيها رجولة.

الحيوانات جميعا يسميها (بعه) عدا الكلب الذي يسميه (عوعو). وعندما اشتمه وأقول له: „امشي كلب" يسألني (عوعو؟). يعجبه بالطبع أن يخرج مع كل خارج من البيت. ولكنه معقول ومن السهولة قشمرته (خداعه) بالكلام المعقول. يعرف مدلول كلمة راديو وتلفزيون وشخاطة (علبة الكبريت) وأشياء كثيرة أخرى، ولكنه لا يستطيع بعد لفظها. يلفظ كلمات فوك، أنام وكلمات أخرى كثيرة بصورة صحيحة ويلفظ كلمات أخرى بشكل مبتور أو محرف، ليس بمعنى التحريفية بالطبع. الحاصل أنه خوش ولد وسترضين عليه، وكذلك سترضى عليه أمونة وشذى. أمك تحبه كثيرا وتطالب به كثيرا. ولكن حاجتي له تمنعني من التفكير في طلبها.

مرة أخرى، وأخرى، أرجو أن تكوني بصحة جيدة، ومرتاحة، مع الإنتاج الجيد،
واطيب تمنياتي الى أمّونة وشذّاوي.

وتحياتي الرفاقية لك وللجميع الذين هم شاخصون في ذهني دائما.
الجميع هنا يتذكرونكم ويبلغونكم خالص تحياتهم القلبية.
أبو إيمان
1962/11/3. ص 225

الصفحة 224

"حبيبتي، كلما طال الفراق، ازدادت قناعتي أن لا شيء في هذه الدنيا يساوي وجودكِ بجانبي. أعدكِ أنني مهما ابتعدت، فقلبي لن يعرف غيركِ، وسأظل وفيًا لكِ ولعهودنا".

الصفحة 225

"ثمينة العزيزة، لا تدعي الغياب يزرع في قلبكِ القلق. الأيام تمضي، وستشرق شمس اللقاء، وأكون بين يديكِ من جديد. تذكّري أننا معًا في كل ما نؤمن به، وأننا سننتصر على هذا الليل الطويل".

الصفحة 226

"حبيبتي، بين اجتماع وآخر، وجدت نفسي أفتح الدفتر وأكتب لكِ. لم أبحث عن الكلمات، فهي تنساب حين أذكركِ. أردت فقط أن تعرفي أنني أحبكِ، وأنكِ الحلم الذي أعيشه كل يوم".

المعنى العميق لهذه الرسائل

ليست هذه الأوراق مجرد بوح بين رجل وامرأة، بل هي وثائق تُظهر أن المناضل العظيم ليس كتلة من الصلابة وحدها، بل هو أيضًا قلب نابض، يعرف الشوق والحاجة، ويعترف بأن العاطفة سندٌ لا يقل عن أي سلاح.

سلام عادل، وهو يكتب لثمينة، كان يكتب في الحقيقة سيرة روحه، حيث يتعانق الحلم السياسي مع الحلم الإنساني، ويتجلى النضال في هيئة حب، والحب في هيئة مقاومة.

ملاحق

ملحق ـ 1

شهادات ومذكرات

ابن العمة سلام عادل*.. الأسطورة المتخفية التي مشت على حافة المستحيل**

أحتفظ في ذاكرتي، كما لو كانت صندوقًا سريًّا قديمًا، بمجموعة من الحكايات التي تسكنها القداسة. كانت تُروى لي ولإخوتي بصوتٍ مشحونٍ بالفخر، يتردد على لسان والديّ، عن ابن عمّتيهما حسين**، الرجل الذي لم يكن شخصًا عابرًا في الحياة، بل ملحمة نضال تمشي على قدمين...
حسين أحمد الموسوي، المعروف بين رفاقه باسمٍ خلّده التاريخ: سلام عادل. ***

* سلام عادل، ابن عمة والديَّ
** نشر في صحيفة المثقف بتاريخ: 21 حزيران/يونيو 2025 ***عمة والديَّ المدعوة "مكية"/ ام سلام عادل
*** اسم سلام عادل الرسمي هو "حسين احمد الموسوي" عرف باسم شائع هو حسين الرضي: ونقلا عن والديها ان الرضي كنية أطلقها المرحوم والده عليه منذ صباه، تيمنًا بأخلاقه الحميدة.
ويقال أيضًا انه كان لقبًا أطلقه هو على نفسه تيمنًا بالشاعر الشريف الرضي حفيد الامام موسى الكاظم والذي كان يحفظ اشعاره ويرددها، وقد أصبح هذا اللقب عزيزًا على قلبه فرافقة طيلة حياته..

لم يكن سلام عادل بطلاً بمقاييس العاديين، بل تجسيدًا لحكمة الشجاعة ومكر الذكاء في آن. رجل يتقن فنّ التخفي كما يتقنه الضباب حين يلامس عيون الناظرين، ثم يتوارى كأن لم يكن. كان سيد الأقنعة، يُبدّل ملامحه ببراعة ساحرٍ من وقت لآخر، فلا تعرفه عين، ولا تلتقطه ذاكرة. هو الشخص الذي يظهر في كل مرة بهيئة جديدة: راعٍ بسيط، بدويّ حافٍ، شيخ أحدب، متسول أبكم، أو حتى أعرج مبتلى... وكان لكل هيئةٍ اسمٌ سريٌّ تتداوله الأسرة خفية، وكان "المعيدي" أكثر الأسماء شيوعًا حين يُبشّرون والدته بقدومه وخاصة حين لا تكون في البيت او عند الجيران.

أتذكر كيف كانت والدتي وهي تسرد لنا ذكرياتها، باعتزاز يعتصره الحنين، أن حسين طرق بابهم ذات مساء، في، هيئة متسوّل أنهكه الجوع وأذلّه العطش، بثياب بالية ونظرات تائهة لا يكاد يُعرف لها ملامح. رقّ له قلبهم، فأطعموه ما تيسّر من زاد، وسقوه من ماء الكرامة ما يُذهب الظمأ ويُنعش القلب،

دون أن يدروا أنهم أمام فلذة كبدهم. وحين امتلأ جوفه وشكرهم بصوت خفيض، بدأ ينزع أردية التخفي، قطعةً تلو الأخرى، وإذا بالدهشة تنفجر في المكان كبرقٍ مباغت... لقد كان هو، حسينهم.

تواصل والدتي ذكرياتها عن ابن العمة، وهي التي كانت ابنة العاشرة آنذاك، كيف كانت بتكليفٍ وارشاد منه تمرّ بين حشود رجال الأمن، تخفي الرسائل في أرغفة الخبز، أو تخبئ المناشير تحت عباءتها السوداء ماضية بخطى الطفولة الجريئة وبراءتها حاجبة عن أعين الرقباء مهمتها لتنفيذ وإيصال ما كلفت به، ولتعود بعدها باسمة العينين.. وهي ترى ابتسامة ابن عمتها الرضية والمشجعة، وهي لم تكن تدري يومها أن خطواتها الصغيرة تلك، كانت تسهم في بناء حلمٍ كبير.

أما والدي، فكان يستعيد، بابتسامةٍ ممزوجة بالحنين، كيف كلّفه حسين بمهامٍ بسيطة لا تثير الشبهات. كان يروي لنا، بفخر، حادثة وقعت في أحد أيام الصيف الملتهبة في سوق السراي بالنجف الأشرف. لم يكن عليه سوى أن يصرخ بجملة واحدة: "يسقط الاستعمار"، ثم يدخل محل عمله بهدوء. لم تكن الجملة عادية، بل كانت شيفرة الانفجار. وما إن نطق بها، حتى امتلأ السوق والطرقات من حوله بأكبر تظاهرة شهدتها المدينة.

ان أكثر ما خلّده ابن عمتهما حسين/ سلام عادل في ذاكرتهما، تلك الحادثة التي لا تنسى والتي حُفرت في ذاكرتي إلى الأبد.. تلك الحادثة في زقاق ضيّق لا منفذ له، حين اجتمع سلام عادل برفاقه لأمر حزبيّ عاجل، فحاصرهم رجال الأمن بعد وشاية مؤكدة بمكانهم. لم يكن ثمّة مخرج، لكن عبقريّ التخفي لم يَخذله حدسه. خلع ملابسه، عفرها بتراب البيت وأوساخه، ثم ارتداها مجددًا كمن خرج من قاع البؤس، يترنح كمتسول اخرق. تقدّم نحو رجال الأمن، يمدّ يده المرتجفة طلبًا للصدقة،

لينهره أحدهم قائلاً: "ابتعد من هنا أيها المجنون!"... دون ان يعلموا أنهم قد طردوا للتوّ ذات الرجل الذي جاؤوا لاعتقاله.

وفي مرةٍ أخرى، سمعت والدي يروي كيف تنكّر في زيّ عجوز ضرير، وجلس عند مدخل الجامع الكبير، يمسك مسبحة ويهز رأسه كأنه غارق في الذكر. لم يكن هناك ليتعبد، بل ليراقب مداخل الحي ويوصل رسائل خفية تحت عتبات الأبواب. أتى رجال الأمن مرارًا يفتّشون الأزقة، ووقف أحدهم فوق رأسه يحدّق فيه طويلاً، قبل أن يهزّ كتفيه ويمضي. بعد أيام، وصلت الأخبار: لقد نجا خمسة من رفاقه من كمين محكم، فقط لأن حسين كان عينهم المبصرة، وهم لا يعلمون.

وذات مساء، انتشر خبر عن "أحد أخطر الشيوعيين" المتخفّين في كربلاء، وكانت الحملة الأمنية على أشدّها للإيقاع به بأي ثمن. خرج حسين من أحد البيوت، مرتديًا زيّ "مُلّه" معمّم، وقد شدّ على خصره حزامًا عريضا من القماش يخبّئ بين طياته المنشورات وآخر التوجيهات للرفاق. دخل وسط حشدٍ من المعزين في مجلس عزاء، وجلس بقرب رجل دين معروف، وأخذ يردّد الأدعية كأنه وُلد في هذا الثوب. في اليوم التالي، انتشرت المنشورات في كربلاء كما لو أن الهواء نفسه كان يوزّعها، وانسحب حسين كما جاء، دون أثر.

ومن ملامح أسطورته أيضًا، أنه حضر باسمه وهويته، بلا قناع ولا تمويه، إحدى المؤتمرات الشيوعية الدولية في موسكو. لاحظ أن أحد المصوّرين يُصرّ على تركيز عدسته

عليه دون سواه، فاقترب منه بهدوء وقال له: "أنا أيضًا أريد أن أجرّب التصوير، دعني أراك من عدستك." أخذ الكاميرا، فتحها أمام الجميع، أخرج الفيلم، ثم أعادها إليه قائلاً: "أعرف جيدًا ما غرضك... والآن، عد إلى أسيادك.

كان حسين يعرف متى يصبح ظلًّا، ومتى يتحوّل إلى ضوء. لم يكن يهرب، بل يختفي ليعود أقوى، أنشط وأذكى. في كل مرة يتوارى، كان يخلق فرصةً جديدة للنضال، وكل مراوغة كانت فخًا يُنصب للعدو، لا خلاصًا فرديًّا.

هكذا كان سلام عادل، رجلًا يتنقّل بين الظلّ والضوء، يبني مجدًا في صمت، ويحترف المراوغة بعبقرية لا تمنحها إلا التجربة والولاء. في نظر والديَّ، لم يكن مجرد اخ او ابن عمة، بل كان الوعد المتحقق، والقصيدة التي كُتبت بالدم لا بالحبر، والأسطورة التي لم تنتهِ بانتهاء فصولها، بل بقيت متقدة في الذاكرة، حيّة في الوجدان، تتردّد كلما ذُكر الوطن أو النضال أو المعنى الحقيقي للبطولة.

في زمنٍ تُختزل فيه البطولات في الكلمات، يبقى سلام عادل شاهدًا على بطولةٍ لا تتطلّب منبرًا، بل تتجلّى في فعلٍ حقيقيّ، في ذكاءٍ نادر، في شجاعةٍ لا تعرف الانكسار، وفي حكاياتٍ رواها والدان بسيطان، لكنهما حملا إرثًا من المجد لا يبهت. وكأن البطولة لا تعرف الموت ما دام هنالك من يرويها.

سلام عادل... لم يكن مجرّد رجل. بل كان سؤالًا كبيرًا عن الحرية، عن الشجاعة، عن معنى أن تحيا مقاتلًا، وتموت واقفًا حتى الرمق الأخير.

في زمنٍ تهاوت فيه المعاني، سيبقى هو... المعنى.

ملحق ـ2

أنا القربان... قسوة التضحية*

في تلك اللحظة الاستثنائية التي لم يشهد قلبي مثلها من قبل، وجدت نفسي، أنا الطفلة، الابنة البكر، محمولة بين ذراعي أمي كما يُحمل الخروف إلى الذبح. وضعتني في وسط باحة الدار، باتجاه القبلة، والدهشة تلفّني من رأسي حتى قدميّ. كان جسدي الطفولي الغض يرتجف كغصنٍ في مهبّ ريحٍ عاصفة، فيما صرخة أمي دوّت كالرعد المزمجر، تخلع سكون المكان، وتنقشع في فضاء الدار كحريقٍ لا يُطفأ:

"أقسمتُ بالله العلي العظيم، إن نجا حسين من الإعدام، لأجعلنّ ابنتي هذه قربانًا له... نذرًا لا رجعة فيه! وليشهد الجميع على قسمي!"

---

* عنوان المقال الذي نشر في بعض الصحف الالكترونية " انا القربان... قسوة التضحية "

كان الصوت متكسّرًا، متهدّجًا، يتناوب فيه النحيب مع الرجاء، وفيه من الانكسار ما يقطع نياط القلب. لم أكن أدرك حينها معنى القربان ولا أسرار النذر، لكن قلبي الصغير أحسّ أن هناك فجيعة عظمى تضرب صدر أمي، وأن شيئًا جللاً يُوشك أن ينتزع من البيت دفأه ومن عينيها نورها.

كان ذلك في اليومِ التاسع عشر من شباط المشؤوم عام 1963، يوم ارتجّت فيه جدران البيت بخبرٍ كالصاعقة: اعتقال حسين، ابن عمة والديّ "مكية"، الذي لم يكن مجرد قريب، بل كان الأخ والسند، سلام عادل، القائد الذي التهمت أقبية "قصر النهاية" جسده تحت سياط البعث. حين وصل الخبر، كان البيت كله ينوح، لكن من تحطّم حقًا وحتى النهاية كانت أمي. سقط قلبها على عتبة الباب كزجاج مهشّم، وغرقت في بحرٍ من الألم، كأن السنين كلها اجتمعت لتثقل كاهلها وتنتزع منها نصف روحها.

حسين بالنسبة لها لم يكن ابن عمّة وحسب؛ كان ظلّها وملاذها، بل كان وطنًا صغيرًا احتمت فيه من برد الأيام وقسوة الأقدار. عاشت في بيتهم طفولتها، وجدت بينهم الحنان الذي حُرمت منه في بيت والدها، وتذوّقت دفئًا

لم تعرف له شبيهًا. كان يدعوها باسمٍ خاص، يخرج من فمه كأغنية: "أولي". كان يرفعها عاليًا نحو السماء، يقذفها إلى الحلم ويلتقطها بذراعيه بحنوّ من يخشى على حلمه أن يتكسّر.

لهذا لم أستغرب أن تزلزل صرختها أركان الدار في ذلك اليوم. لم تكن صرخة نذرٍ فقط، بل كانت صرخة من فقدت نصف كيانها، صرخة أمٍّ ترى الموت ماثلًا أمامها في صورة غياب، وترى العالم ينهار دون أن تجد يدًا تلتقطها.

كنت ممدّدة هناك في باحة الدار، لا أفهم معنى أن أكون قربانًا، لكنني شعرت بثقل الكلمة كأنها جبل جثم فوق صدري. شعرت أنني، بجسدي الطفولي العاجز، قد تحوّلت إلى مرآةٍ لألمٍ أكبر مني، إلى شاهدٍ حيّ على مأساةٍ لا تسعها اللغة. رأيت أمي بوجهها الأبيض وقد تحوّل إلى زرقةٍ داكنة، كأن الحزن نزف دمها وأطفأ نورها. في عينيها كان الرماد يختلط بالسواد، وفي نظرتها انطفأت الحياة.

ذلك المشهد لم يغادرني أبدًا. ظلّ يحفر نفسه في أعماقي كشاهدٍ لا يموت، يطلّ برأسه كلّما سمعت اسم "سلام

عادل"، أو كلما أبصرت ملامح أمي وهي تجاهد لتخفي وجعًا لا ينطفئ. كان قسمها يتردّد في أذنيّ على الدوام، كأنه يُتلى الآن، يجلجل في داخلي، يذكرني أنني لم أعد كما كنت: طفلة عابرة في طريق الطفولة، بل صرت قربانًا حيًّا، شاهدةً على حكايةٍ يتشابك فيها الفقد بالفداء، والخذلان بالعظمة.

أن تُقدّم أمّ ابنتها قربانًا، أي وجعٍ هذا الذي يضيق به التعبير؟ لكنه أيضًا أسمى صور العطاء، ذاك العطاء الذي لا يُقاس بالهبات ولا بالكلمات، بل يُقاس بما يُنتزع من القلب ويُراق من الروح.

كان قسمها انفجارًا داخليًا هائلًا، صراعًا بين الحب والخوف، بين الأمل واليأس، بين الحياة والموت. لم يكن موجّهًا لله وحده، بل كان تحديًا للموت نفسه، وصرخة احتجاج على قدرٍ جائر، وصوت أمّ تواجه بضعفها جبروت السلطة وقسوة المصير.

مضت السنوات، كبرتُ أنا، لكن الندبة لم تندمل. ظلّ المشهد يسكنني كأغنية حزينة لا تخبو، يرافقني في يقظتي ومنامي، يُضيء حزنًا في أعماقي ويمنحني في الوقت ذاته دفئًا غريبًا، **دفء الانتماء إلى حكايةٍ أكبر**

من ذاتي. صرت امرأة تحمل بين أضلاعها قلبًا موسومًا بذاك القسم، قلبًا **يفيض بالحنين والألم والفخر معًا.**

إن كنتُ قد نجوت من النذر، فإنني لم أنجُ من أثره. صرت شاهدةً عليه، ممهورةً بخاتمه، أحمل حكايته كروحٍ تتردّد في صدري، كدمٍ ينساب في عروقي، وكإرثٍ لا يزول. كنت قربانه، وكان هو قربان الوطن... بطلاً واجه الموت بصلابةٍ نادرة ليمنح للحياة معنى آخر.

وهكذا، بقيت صرخة أمي، مثل قنديلٍ في العاصفة، تضيء ما بيني وبينها، وتذكّرني أن الوجع حين يبلغ أقصاه، يتحوّل إلى تضحيةٍ لا تشبهها تضحية.

الكاتبة في سطور

وُلدت في مدينة النجف، ونشأت في بغداد، حيث تفتّحت عيناها على نبض الفن والفكر.

بدأت مسيرتها العلمية بدراسة الأرشفة والصحافة؛ مسكونة بالشغف للكلمة وتوثيق الحقيقة، غير أن الظروف السياسية

العاصفة أواخر السبعينات أرغمتها على مغادرة العراق، فكانت الهجرة قدرًا فرضته المبادئ.

لم توقفها المنافي، بل كانت منطلقًا جديدًا لمسيرة حياتها؛ فحصلت على درجة الماجستير في الاقتصاد السياسي من بلغاريا، وواصلت رسالتها المعرفية بالتدريس في جنوب اليمن ثم ألمانيا.

في موازاة ذلك، خاضت غمار الإبداع العملي والفني، فتخصّصت في فن التصميم والخياطة، وعملت بهما في عدة دول، لتكون ألمانيا محطتها الأخيرة في هذا المجال تاركة بصمتها الخاصة

تنوعت خبراتها في ألمانيا بين الترجمة والعمل وفي المجالات الاجتماعية والتربوية.

احبت الادب وشغفت به منذ نعومة اظفارها. لها مساهمات أدبية ونقدية. نُشرت وتنشر في عدد من الصحف والمواقع الإلكترونية.

** صدرت لها رواية بعنوان "بين غربتين" في نيسان 2025– آريس/ المانيا.

** خلع خاتم الطائفية/ رواية تحت الطبع

صور

سلام عادل وزوجته ثمينة ناجي يوسف

ثمينة مع أولادها ايمان، علي وشذى

الجزء الأول من النصب الذي أنجزه الفنان فراس توفيق البصري، المكرس للشهيد سلام عادل

الشهيد الخالد
سلام عادل
حسين احمد الرضي الموسوي
١٩٢٢ - ١٩٦٣

المراجع

1 ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد: سلام عادل سيرة مناضل، ج1، ج2.
2 عزيز سباهي: عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي ج2
3 حنا بطاطو: العراق، الحزب الشيوعي.
4 العامرى، شيماء ياس خضير: سلام عادل ودوره السياسي في العراق .
5 طارق يوسف إسماعيل: صعود الحزب الشيوعي العراقي وانحداره.
6 عبد الحسين شعبان: سلام عادل الدال والمدلول وما يمكث وما يزول.
7 خليل إبراهيم حسين: الصراعات بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين ورفعت الحاج سري والقوميين.

الفهرســـــت

1	**الجزء الأول**		النهر الذي لا يجف
3			مقدمة
7	**الفصل الأول**		سلام عادل: الإنسان الذي سبق الثورة
15	**الفصل الثاني**		الضمير الحي في مواجهة العواصف
16		أولًا	مواجهة التفرد وإصراره على القيادة الجماعية (حميد عثمان نموذجًا)
19		ثانيًا	العمل في الفرات الأوسط – معركة الإنسان والكرامة1954
21		ثالثًا	انتخابه سكرتيرًا للحزب – من الأخلاق إلى الفعل
23		رابعًا	انتخابه سكرتيرًا للحزب – من الأخلاق إلى الفعل
23		خامسًا	حين تقود المبادئ، جبهة الكفاح الوطني
25		سادسًا	المثقف الثوري: من التنظير إلى الفعل
26		سابعًا	ثورة داخل الحزب بثوب إنساني

27	**الفصل الثالث**	الكونفرنس الثاني للحزب 1956: انبثاق التحوّل العظيم
30	أولًا	سلام عادل في تشرين 1956: حين صار العراق قلبًا عربيًا نابضًا
31	ثانيًا	قائد يسير مع الجماهير لا أمامها
31	ثالثًا	الإضرابات لم تكن أوامر حزبية... بل صرخة من قاع الوجدان
32	رابعًا	الرفيق الذي أحبّ أمّته كأمّه
33	خامسًا	سلام عادل في انتفاضة 1956: حين يصبح القائد ضمير أمة
36	سادسًا	تأسيس جبهة الاتحاد الوطني: الحلم بوطن لا تقطعه الحراب
37	سابعًا	التحضير لثورة 14 تموز: القصيدة التي كُتبت بالصمت
39	ثامنًا	من الجبهة إلى الثورة: الإنسان بوصلته الأسمى
	تاسعًا	تحليل للجوانب الإنسانية والاجتماعية في قيادته 1. الضمير الاخلاقي 2. الانصات للناس 3. القيادة بالتواضع 4. الرؤية العميقة 5. تواضعه الجم 6. حنوه على الشباب 7. حسه الإنساني العميق
41	عاشرًا	بين السياسة والتاريخ: النهر الذي لا يجف حين تتجلى بصيرة سلام عادل الإستراتيجية في:
41	أحد عشر	شخصية تتجاوز الحياة: بين الجرح والكبرياء 1. صبره في المحنة

2. اصراره على وحدة الحزب
3. وقوفه ضد الفساد والانحراف
43 **الفصل الرابع** حين يتحول الصراع السياسي إلى اختبار أخلاقي: سلام عادل في مواجهة المؤامرات
43 1. مؤامرة عبد السلام عارف: نزق الطموح وغطرسة الفرد في مواجهة حلم الجماعة
45 2. مؤامرة الكيلاني: حين يُستدعى الشيطان ليخنق الثورة
45 3. مؤامرة الشواف: عندما يُرفع السلاح بوجه الشعب
46 4. الاختلاف مع عبد الكريم قاسم: حين يلتقي الحذر بالحلم
48 5. الأبعاد الإنسانية والاجتماعية في شخصية سلام عادل أثناء العاصفة
49 6. كان سلام إنسانًا أكثر من كونه زعيمًا

51 **الفصل الخامس** بين السطور المشتعلة قراءة في مواقف سلام عادل من وثائق الجزء الأول من الكتاب.
51 اولًا وثائق تُكتب بالدم: موقف سلام عادل من الاستعمار والحرب
52 ثانيًا تأملات في الانكسار: صمت الجبهة وانهيار التحالفات
53 ثالثًا بيان ثورة تموز: لهجة رجل على موعد مع القدر
53 رابعًا عن الشواف والمؤامرة: الحذر النبيل
54 خامسًا ضد القومية التصفوية: العدل لا الغلبة
55 سادسًا ريف العراق: وجهة نضالنا

57	**الجزء الثاني**		اختزال بلاغة الفداء
59			مقدمة الجزء الثاني
63	**الفصل الاول**		بين السياسة والإنسان: سلام عادل في وجه العاصفة
64		اولًا	البعد الإنساني: في صمت الألم وغضب الأمل
66		ثانيًا	دمعة التاريخ على كتف الثورة
67		ثالثًا	سلام عادل بين "الكتلة اليمينية" والانقضاض الداخلي: حين ينهار البيت من داخله
69	**الفصل الثاني**		أحداث كركوك: الدم المسكوت عنه... وضمير سلام اليقظ
70		اولًا	اجتماع اللجنة المركزية في تموز1959 إثر احداث كركوك: الشجاعة النقدية والنزاهة الثورية
71		ثانيًا	الجوانب الإنسانية والاجتماعية في شخصية سلام عادل 1. توجعه من موت الأبرياء 2. اهتمامه بأثر القرارات السياسية على النسيج الاجتماعي 3. كان يسعى في أعماقه إلى بناء دولة إنسانية
75	**الفصل الثالث**		العودة من موسكو– قلبٌ يحترق وجبينٌ لا ينحني
77		أولًا	موقفه من الكتلة الانتهازية... بين الحزم الإيديولوجي والنُبل الإنساني
78		ثانيًا	بلاغة السيرة وبلاغة الموقف
78		ثالثًا	البعد الإنساني في شخصية سلام عادل

81	**الفصل الرابع**		قبيل الزلزال، بخطى واعية
82		أولًا	تحذيرات سلام عادل من السقوط الوشيك
82		ثانيًا	منظمة الحزب في الجيش: حلم السلام يُذبح من الداخل
83		ثالثًا	اللحظة الأخيرة: شباط الأسود
83		رابعًا	الوجه الإنساني في لحظة الانكسار
85	**الفصل الخامس**		الفصل قبل الأخير من الأسطورة
86		اولًا	8 شباط... تاريخ يُكتَب بالدم، لا بالحبر
86		ثانيًا	ساعة السقوط: الرفيق الأخير في ساحة المعركة
87		ثالثًا	قصر النهاية... صليب العصر الجمهوري.
87			1. قصر النهاية"... البداية التي كتبتها الشهادة
88			2. البطولة الهادئة – حين تغدو الأبوة صمتًا، والوطن طفلك الاكبر
90			3. الكرامة في حضرة الوحشية – صموده أثناء المواجهة
90			4. أنسنة الصمود – لغة القلب وسط الحديد والنار
91			5. حين يُصبح الألم بلاغةً، ويغدو الصمت ثورة
93	**الفصل السادس**		شهيد لا يموت
94		أولا	صورة سلام في مرآة رفاقه بعد الموت

95	ثانيًا	في تقييم النقد الذاتي... سلام الذي لم يبرّئ أحدًا من الخيانة
95	ثالثا	ما لا يقال في الخطابات والمحاضر: سلام عادل والقيادة الأخلاقية في محراب النار
97		1. في النزاع... قلبٌ يتكسّر بصمت
97		2. في الموقف من القضية الكردية: دروس في العدالة والتسامح
98		3. في حضرة الفقد والخذلان
98		4. سلام عادل الأب... لا الحزبي المجرد
101	**الفصل السابع**	وفي زمن الخيانة، اختار أن يكون إنسانًا
101	أولًا	في سيرة الشهداء الآخرين... سلام عادل ليس وحده
101	ثانيًا	خاتمة الختام: الشهادة لا تُختزل في الموت، بل تُقاس بمدى صدق الحياة
102	ثالثًا	الوثائق الأخيرة: رسائل بين اللهب، ومراجعات على حافة المقصلة
102		1. رسالته إلى الخارج الحزبي
104		2. حول انهيار المنظمات في الجيش
105		3. تقويم التجربة بعد الانقلاب
106		4. الخلاصة الانسانية
107	**الفصل الثامن**	رسائل سلام عادل إلى ثمينة
107		في الجزء الأول نبض القلب وصوت النضال
111		في الجزء الثاني بين قلب العاشق وعقل القائد

ملاحق

123 1 شهادات ومذكرات

ابن العمة سلام عادل.. الأسطورة المتخفية التي مشت على حافة المستحيل

129 2 انا القربان... قسوة التضحية

135 **الكاتبة في سطور**

137 **صور**

145 **المراجع**